العقلية الرأسمالية وسيطرتها على المسلمين

٩٨

يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول

الوعي

العدد رقم [٩٨] السنة التاسعة – محرم ١٤١٦هـ – حزيران ١٩٩٥م

الثورة الصناعية قضية مصيرية للأمة الإسلامية

الاسلام والسلام

حوار مفتوح حول دستور دولة الخلافة (٤)

مفهوم التجديد والابتداء

النظام النقدي في الاسلام

لن اهاجر (شعر)

AL-WAIE

الوعي

السنة التاسعة العدد [٩٨]

جامعية ـ فكرية ـ ثقافية

تصدر غرة كل شهر قمري عن ثلة من الشباب الجامعي المسلم في لبنان
بترخيص رقم ١٦٦٠ صادر عن وزارة الاعلام اللبنانية بتاريخ ١٥/١١/١٩٨٩

العدد (٩٨)

(ص)

- حسين وإخوانه من اليهود .....(١)
- الثورة الصناعية: قضية مصيرية للأمة الإسلامية .....(٤)
- أولياء الله: الصديق رضي الله عنه (٩)
- العقلية الرأسمالية ومدى سيطرتها على أذهان المسلمين .....(١١)
- حوار مفتوح حول دستور دولة الخلافة .....(١٦)
- وقائع سياسية ..... (٢١)
- النظام النقدي في الاسلام .....(٢٢)
- الإسلام والسلام ..... (٢٥)
- من مباحث التشريع: مفهوما التجديد والابتداع .....(٢٩)
- لن أهاجر (قصيدة) .....(٣٣)
- في رحاب الوحي: الظلم ظلمات (٣٤)
- أمريكا تريد أن تبدل دين الله...(٣٦)

المراسلات

S . Hassan
P. O. Box 82
A - 1127 WIEN
Austria (Vienna)

ثمن النسخة

لبنان: ١٥٠٠ ل.ل. (استثنائي)
المانيا ٢,٥٠ مارك
امريكا ٢,٥٠ دولار اميركي
كندا ٢,٥٠ دولار كندي
استراليا ٢,٥٠ دولار استرالي
بريطانيا: ١ جنيه استرليني
السويد ١٥ كورون سويدي
الدانمرك ١٥ كورون دانمركي
بلجيكا ٥٠ فرنك بلجيكي
سويسرا ٢ فرنك سويسري
النمسا ٢٠ شلن
باكستان دولار اميركي
تركيا دولار اميركي
اليمن ١٥ ريالاً

الى السادة الكتّاب

- يجوز إعادة نشر المواضيع التي تظهر في «الوعي» دون اذن مسبق على ان تذكر كمصدر
- لا تقبل «الوعي» إلا المواضيع التي لم يسبق نشرها وإلا فعل الكاتب ذكر المصدر
- لـ «الوعي» حق تصحيح المواضيع المرسلة، وغير ملزمة بإعادة المواضيع التي لم تقبل للنشر
- نرجو ترقيم ووضع خط تحت جميع الآيات القرانية والاحاديث النبوية الواردة في المقالات وتخريجها
- جميع المراسلات ترسل إلى عنوان المجلة في النمسا.

عناوين المراسلين

الدانمرك
AL - WAIE
P.O.Box 1286
2300 KBH. S
Danmark

Canada كندا
AL - WAIE
2376 Eglinton Ave. East
P.O.Box # 44515
Scarborough, ONT. M1K 2PO

Belgique بلجيكا
A.B.DEL.
B.P. No. 80 - 1070 Bxl

المانيا
Zahir
Postfach 510607
13409 Berlin
GERMANY

استراليا
AL-WAIE
P.O.Box 384
Punchbowl 2196
NSW - Australia

بريطانيا
AL - WAIE
P.O.Box 2629
London N9 9LW
U.K

اليمن
السيد محمد عامر
ص ب ٢١١٢٥
صنعاء ـ اليمن

لبنان
بيروت – شوران
ص.ب. ١٣٥٠٩٩

U.S.A. اميركا
Al - WAIE
P.O.Box 366
Oxon Hill MD 20750

امريكا ٣٠ دولارا اميركيا باكستان ١٥ دولارا اميركيا تركيا ١٥ دولارا اميركيا دول اوروبا الغربية ٢٤ دولارا اميركيا باقي الدول ١٥ دولارا اميركيا
الدانمرك ١٨٠ كورون استراليا ٣٠ دولارا استرالي كندا ٣٠ دولارا اميركيا تونس ١٤٠٠٠ دينارا

المصالح لأمة أو لشعب ، وهو عاجز عن تدبير شؤون نفسه ؟

إن الله سبحانه وتعالى قد أنزل الكتاب ببينات من الهدى والفرقان ليحكم به المسلمون وحذرهم أن يُفتنوا عنه [واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك] ، وتوعدنا بالعذاب والويل إن لم نحكم بما أنزل ، ووصف الذين لا يفعلون ذلك بالكافرين والظالمين والفاسقين ، وكُلاًّ وعد اللهُ الخزيَ والعذاب في الدنيا والآخرة . ثم يأتي الحاكم بعد هذا كائنا من كان يقول للمسلمين أنا ربكم الأعلى ، ومن هنا الدرب . . كلا ثم كلا . فالمسلمون لا يطيعون إلا الله ورسوله ومن عمل بكتاب الله وسنة رسوله ولو كان عبدا حبشيا ، وهم مأمورون بالأخذ على يد الظالم وبرفع حكم الكفر عنهم وبإزالة الظلم والطغيان [والذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون] ، وكيف لا يكونون كذلك وهم يسمعون قوله تعالى في نفي الإيمان عن كل من لا يُحكِّم شرعه [فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما] ، وكيف يمكن للمسلمين أن يطيعوا حاكما يحكمهم بغير ما أنزل الله وهم يسمعون قوله تعالى [ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون] مهما كان هذا الحاكم ومن أي سلالة انحدر .

أما النقطة الثانية التي نريد أن نعرض لها هنا من حديث العاهل الأردني أمام نوابه وأعيانه فهي قوله إنه أوجد سلاما بين المسلمين . . فمتى كان اليهود أعداء الله ورسله مسلمين أيها العاهل الأردني ، ياسليل الدوحة الهاشمية . . كأنك لم تقرأ قوله تعالى [ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين] ، وكأنك لم تقرأ قوله تعالى مردفا بعد هذه الآية [إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين] وقد جاء هذا السياق في معرض الرد على اليهود والنصارى الذين قالوا إن إبراهيم كان يهوديا أو نصرانيا ، فأنزل الله تعالى قوله [ياأهل الكتاب لم تحاجون في إبراهيم وما أنزلت التوراة والإنجيل إلا من بعده أفلا تعقلون ، ها أنتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم والله يعلم وأنتم لا تعلمون] .

كأنك لم تقرأ هذا كله أو تسمع به أيها الملك الهاشمي . . ثم تأتي بعد ذلك كله وتصف أعداء الله ورسله بأنهم أبناء إبراهيم ، والله سبحانه وتعالى قد بكّت على الكافرين أعمالهم حتى لو كانوا من أبناء الأنبياء الكرام . . [ونادى نوح ابنه وكان في معزل يابني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين ، قال سآوي إلى جبل يعصمني من الماء ، قال لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم ، وحال بينهما الموج فكان من المغرقين] ، وقد أنّبه الله سبحانه وتعالى حين خاطبه في شأن ولده الغريق [ونادى نوح ربه فقال رب إن ابني من أهلي وإن وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين ، قال يا نوح إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح فلا تسألن ما ليس لك به علم إني أعظك أن تكون من الجاهلين] .

لقد حكمت على نفسك أيها الملك أنك من الجاهلين حين وصفت يهودا بأبناء إبراهيم ، وما هم بأبنائه ولا بأوليائه أولئك الذين غضب الله عليهم ولعنهم على ألسنة أنبيائه الكرام [لُعِن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داوود وعيسى ابن مريم ، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ، كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه . .] [قل يا أهل الكتاب هل تنقمون منا إلا أن آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل من قبل وأن أكثركم فاسقون] [قل هل أنبئكم بشرٍّ من ذلك مثوبةً عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعَبَدَ الطاغوتَ أولئك شر مكانا وأضل عن سواء السبيل] ثم تأتي أيها الملك الهاشمي وتصفهم بأبناء إبراهيم . . ألا تكفيك جرأتك على الأمة حتى اجترأت على الله ورسله .

وختاما نذكر أعضاء مجلسي النواب والأعيان بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم " من كتم علما ألجمه الله بلجام من نار يوم القيامة " ، و " الساكت عن الحق شيطان أخرس " ، وبقوله تعالى [ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار ومالكم من دون الله من أولياء ثم لا تنصرون] . أما الملك الذي يرى يهودا إخوانا له فإليه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم " المرء مع من أحب " [رواه البخاري] وقول ذي الجلال الذي هو في الأرض إله وفي السماء إله [وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون] .

الثورة الصناعية قضية مصيرية للأمة الإسلامية

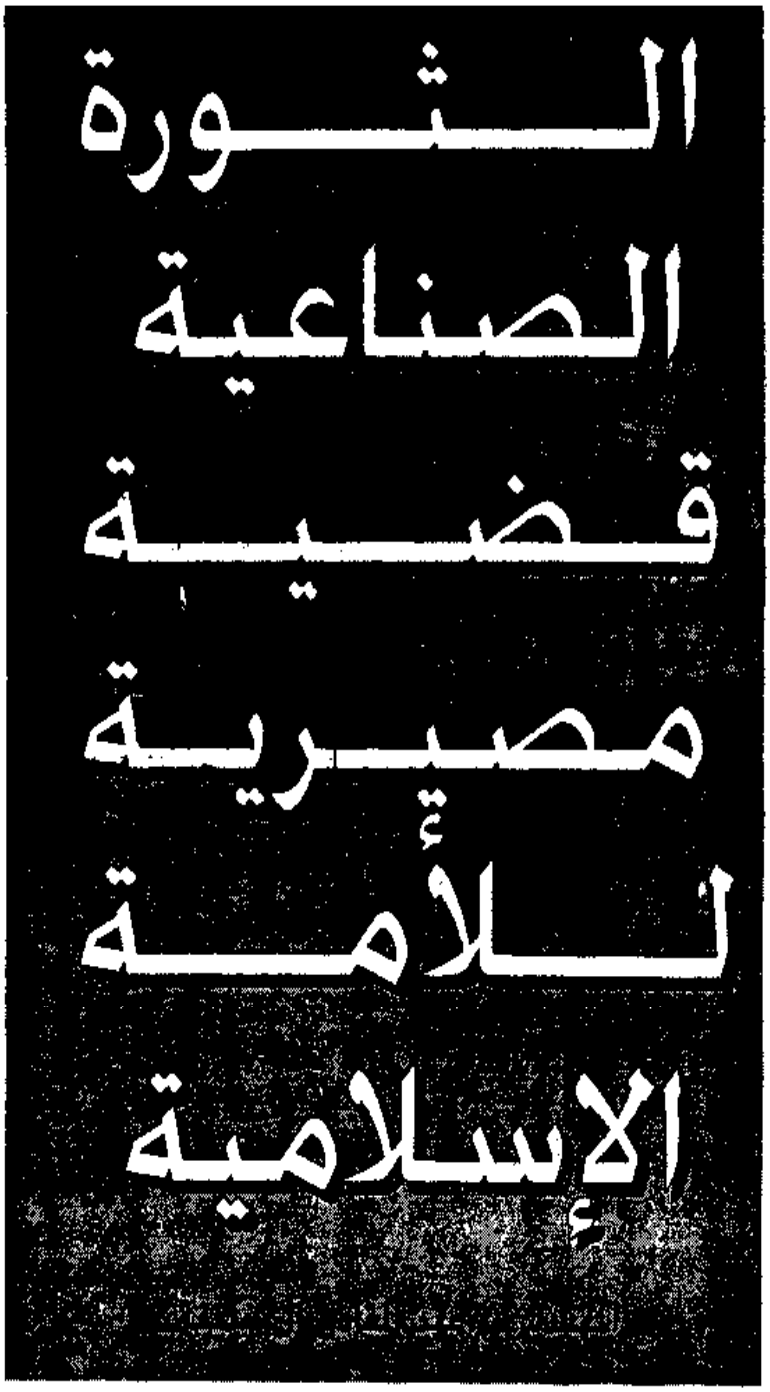

إن الأمة الناهضة هي التي تملك طريقة تفكير منتجة ، وأفكارا تبدع باستعمالها في الحياة فتحقق بذلك كل القيم سواء كانت روحية أو مادية أوخلقية او إنسانية ، ورقي الأمة لا يتجلى حينئذ فقط في انماط سلوكها الحضاري المتميز بل في تقدمها المدني الذي لابد أن يستوعب كل ما توصلت إليه البشرية في مجال العلوم ، وأن تحرز قصب السبق فيها ، فيوجد في الأمة حشد من المجتهدين والمفكرين والفقهاء والسياسيين وكذلك حشد من العلماء في كل فرع من فروع العلوم : كالفيزياء والكيمياء وعلوم الفضاء والتكنولوجيا والإلكترونيات والطب والصيدلة والهندسة . . ، وهذا التميز الحضاري والرقي المدني سوف يظهر على مستوى الدولة إذ تصبح دولة قوية مؤثرة مهابة ، بل وتصبح الدولة الأولى في العالم التي تتحكم في الموقف الدولي وتسيطر عليه وتصيغ العلاقات الدولية فيه حسب مبدئها .

إن إقامة الدولة الإسلامية والمحافظة على وجودها أمام الدسائس والمؤامرات يتطلب وعي المسلمين على عقيدتهم وعلى الأحكام الشرعية ، والوعي السياسي على مجريات الأمور ، أما جعلها قوية مؤثرة مهابة أو جعلها تحتل مركز الدولة الأولى في العالم فهذا يتطلب إلى جانب ذلك أن تكون رائدة في مجال العلوم والصناعات ، وأن تكون السباقة في الاختراعات والاكتشافات . إن المسلمين مطالبون شرعا بأن يكونوا الأقوياء وبأن يتلبسوا بحمل الدعوة إلى العالم حتى تكون السيادة على هذه البسيطة للشرع وحده ، قال تعالى { وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا } وقال سبحانه { كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر } ، ويجب عليهم أن يأخذوا بجميع الأسباب التي تمكنهم من ذلك تنفيذا لقوله تعالى { وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم } ولقوله تعالى { ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا } . وعلى هذا كان طلب العلم فرض عين ، قال

صلى الله عليه وسلم " طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة " ، وكان تعلم العلوم والمعارف التي يحتاجها المجتمع الإسلامي فرض كفاية أي وجب على ولي الأمر تركيز وإيجاد كافة فروع المعرفة والعلوم مع توفير الكوادر اللازمة لها ، وإذا ما أهمل فرع من هذه الفروع أو لم يتحقق الغرض الذي من أجله وجدت وهو استيعاب ما توصل إليه العلماء إلى ذلك الحين واستكمال البحوث وأخذ السبق في مجال الاختراعات أثم الجميع وأصبح النهوض بذلك الفرع فرض عين على كل متخصص في ذلك الميدان ، وعلى الجميع إذا انعدم المتخصصون .

وإذا تعلق الأمر بفرع حيوي يمهد لثورة علمية تمس كل نواحي الحياة أصبحت المسألة قضية مصيرية ، وهذا هو واقع الثورة الصناعية .

ومن المسلمات البديهية أن رأس الحربة في عملية التصنيع وإيجاد ثورة صناعية حقيقية هي التصنيع الثقيل الذي يقوم أساسا على صناعة الآلات . إن صناعة الآلات هي التي تمكن الدولة من التصنيع الحقيقي الذي يشمل : صناعة الحديد والصلب ، صناعة المحركات للسفن والدبابات والطائرات والجرارات . . . ، صناعة هياكل الطائرات والسفن والعربات ، الصناعات البتروكيماوية ، الصناعات الإلكترونية ، الصناعة النووية بما في ذلك الأسلحة ، صناعة الفضاء . وبما أن هذه الصناعات يستحيل إقامتها إذا لم نتمكن من صناعة الآلات التي تحتاجها كل صناعة ، لذلك كان العمل على إقامة مصانع للآلات واجبا من باب ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب ، لأن هذه الصناعات واجبة على الأمة حتى تكون قوية قادرة مؤثرة ، وتتمكن بالتالي ليس فقط من تخليص نفسها من كافة أنواع الاستعمار والتبعية ، بل من أن تتولى دورها الطبيعي في الهداية وذلك بحمل الدعوة إلى العالم عن طريق الجهاد حتى تكون كلمة الله هي العليا على وجه هذه الأرض .

نحن نعرف أن مصادر الاقتصاد متعددة من صناعة وتجارة وفلاحة وخدمات ، إلا أن دور الصناعة خطير وعظيم ليس فقط في خلق اقتصاد قوي بل في إحداث ثورة على مستوى مدنية المجتمع ، إذ أن الفلاحة والتجارة تستندان إلى الصناعة ، وهذان القطاعان لا يزدهران ولا يلعبان دورا إيجابيا على مستوى الميزان التجاري إلا إذا استندا في وجودهما وفي تطورهما على الصناعة ، وبصفة أدق على التكنولوجيا المتطورة حتى تزاحم وتنافس غيرها من الدول التي تنافسنا .

إن تركيز صناعة الآلات سوف يوجد الصناعات الآنف ذكرها ، وبوجود عقليات مستوعبة ومبدعة سوف تتمكن الأمة من امتلاك التكنولوجيا وتطويرها مما يمكنها من السبق في الابتكار والاختراع ، إذ أن العلم يهتم بالمادة لمعرفة مكوناتها وخصائصها ولذلك كان المنهج التجريبي أو الطريقة العلمية تخضع المادة للملاحظة والتجربة والاستنتاج ، أما التكنولوجيا فهي تهدف إلى تشكيل هذه المادة لخدمة الإنسان . فمثلا معرفة خصائص المواد شبه العازلة semi-conducter أدى إلى تركيب الترانزستور ، وجهاز الراديو هو ربط لعدة ترانزستورات ومقاومات ومفردات إليكترونية أخرى ، والمفردات يمكن ربطها أيضا بشكل آخر لينتج عنها رادارا أو حاسوبا .

إن التقدم العلمي لا يتطلب فقط وجود عقليات مبتكرة وخلاقة في ميدان العلوم ، بل سياسة علمية واضحة تعتمد على الثورة الصناعية وعلى التطوير التكنولوجي وعلى بناء المختبرات التي تمتلك أحدث الآلات وأدقها في كل مكان في الجامعات والمصانع والمعامل والمستشفيات ، حتى يوجد حشد من المبتكرين والمخترعين ، وهذا ما يمهد لثورة مدنية كبرى تغير الملامح المدنية للمجتمع ، وبهذا يرسى حقيقة ما يسمى بالبحث العلمي وتطور قطاعات مثل البحث الطبي والتصنيع الصيدلاني والأبحاث الهندسية ، وتمكن الأمة من أن تصون ثرواتها من التبديد والإهدار ، فتتواجد الشركات للتنقيب واستخراج البترول والغاز والفوسفات والذهب واليورانيوم والنحاس ، معتمدة على ابتكارات أبنائها من الآلات . وكذلك الأمر بالنسبة للأساطيل البحرية التي سوف تحفظ للأمة ثرواتها البحرية وتتولى هي مسألة استغلال هذه الثروات للصالح العام . وهذا ما يفوت على الكفار فرصة التلاعب بثروات الأمة ، فالبلدان المنتجة للنفط مثلا لا تقارن أرباحها من النفط بأرباح الشركات المنقبة والمستخرجة له ، وكذلك حال شركات التنقيب عن الفوسفات والحديد واليورانيوم ، إذ أن الأرباح التي تجنيها هذه الشركات خيالية مما جعل هذه الشركات كالأخطبوط أقوى من الدول نفسها . ولذلك فإن التصنيع سوف

يقضي على هذه الشركات التي نهبت ثرواتنا وامتصت عرق أبنائنا . أيضا يجب أن لا ننسى أن استيراد الآلات والمصانع . يكلف نفقات طائلة إذ تباع لبلادنا بأغلى الأثمان ، ويزيد من الأعباء تكاليف الصيانة وشراء قطع الغيـــار وتكاليف العطب أو التعطيل ، هذا فضلا عن أن الواقع يكشف لنا بجلاء أن نوعية الآلات والمصانع التي تصدر لبلادنا ذات صبغة استهلاكية تافهة ، مما يبدد ثروات الأمة مثلما وقع في التجارة الثلاثة : حيث كانت البرتغال وإسبانيا يخطفون الأفارقة ويجعلونهم عبيدا تستغل طاقاتهم الجسمية في استخراج الذهب في القارة الجديدة ، وكان الإنجليز والفرنسيون يملكون المصانع فيبيعون منتوجاتهم للإسبان والبرتغال ، وهكذا يتحول الذهب إلى ملكية الإنجليز والفرنسيين .

جعل البلاد الإسلامية بلادا صناعية

إن المناداة بضرورة صناعة الآلات ليس فقط لهذه الأسباب ، وإنما لتحقيق سياسة اقتصادية معينة ، وهي جعل البلاد الإسلامية بلادا صناعية سواء أنتج ذلك ربحا أم خسارة ، وسواء وجدت أسواق لسلعنا في الخارج أم لم توجد ، فالدافع لإيجاد صناعة الآلات هو تحقيق هذه السياسة والهدف من تحقيق هذه السياسة هو تخليص البلاد الإسلامية من سيطرة الكفار ومن طريقة العيش الفاسدة التي تأثرت بوجهة نظر الكفار ، وبتعبير آخر هو تحقيق السيادة لحكم الله في الأرض . ولكل هذه الأسباب كانت مسألة تصنيع الآلات ضرورة ملحة وفرضا لا بد من القيام به وشرطا أساسيا في بعث اقتصاد قوي وفي امتلاك القوة المادية وفي النهوض بكثير من القطاعات الحيوية ، ولا يمكن الحديث عن البحث العلمي أو التقدم العلمي بدونها ، خاصة وأن الأمة لا تفتقر إلى شيء للقيام بهذه الثورة الصناعية .

فالخبراء والمتخصصون موجودون والكثير منهم مما يسمى بالامعة المهاجرة قد وضعوا كفاءاتهم وخبراتهم في خدمة الدول والأمم الأخرى ، والمواد الخام من حديد وبترول ونحاس وبوتام ويورانيوم وفوسفات وغاز وذهب . . متوفرة وبغزارة وبشكل يلبي احتياجات ليس فقط العالم الإسلامي بل الجزء الأعظم من البشرية ، أما المال فحدث ولا حرج : أمة غنية وأبناؤها فقراء وأموالها تكدس في بنوك الكفار ، وتُنفق في شراء سلع لو قامت بتصنيعها ما كلفها ذلك معشار ما أنفقته في شرائها :

- إيداعات أفراد العرب في بنوك سويسرا فقط بلغت عام ١٩٩٤م ١٦٥ مليار دولار ، وإذا أضيف إلى العرب بقية الدول الإسلامية في الشرق الأوسط فيصل المبلغ إلى ٤٢٥ مليار دولار .

- أنفقت الدول العربية ما بين عامي ١٩٧٠ و ١٩٨٠ ألف مليار دولار في شراء أسلحة من الدول الغربية استخدمتها في حـــرب بعضها البعض .

- كلفت حرب الخليج الثانية أكثر من ٦٥٠ مليار دولار

[من دراسة نشرت عام ١٩٩٤م في أبو ظبي للدكتور عبد الرزاق فارس أستاذ الاقتصاد في جامعة الإمارات] .

فكل ما يمكّن من إيجاد صناعة الآلات موجود و لا ينقصنا سوى الراعي الذي يتولى عن الجماعة ما هو موكول إليها فيتولى مباشرة هذا العمل حالا عند مبايعته . فيفجر طاقات الأمة وينظم جهودها ويضعها على الطريق الصحيح .

أما الأحكام الشرعية المتعلقة بالثورة الصناعية فهي تعالج مسألة إنشاء المشاريع ففي البلدان الرأسمالية مثل أمريكا وغيرها تقوم مشاريع الإنتاج فيها على كاهل الأفراد والشركات وليس على كاهل الدولة ، ولذلك نجدهم يملكون حقول نفط ويملكون الآلات التي تنقب عنه وتستخرجه وكذلك الحال بالنسبة للثروات الأرضية والبحرية ، وبهذا أصبحت الثروات التي هي عادة ملكية عامة أو ملكية الدولة ملكية فردية ، وهو ما أدى إلى ازدياد الظلم الاقتصادي وإلى نمو الطبقية .

أما في الدولة الإسلامية فإن مشاريع الإنتاج منظورة بوجهة النظر الإسلامية في الحياة فهي منضبطة بأحكام الملكية في الإسلام ، من ذلك أن المصانع التي تصنع ما هو داخل في الملكية العامة تقوم على كاهل الدولة ولا يصح أن تقوم على كاهل الأفراد ، وذلك مثل آلات استخراج النفط وتكريره والتنقيب عن

الفوسفات والذهب والحديد ومصانع توليد الكهرباء وتوزيع المياه . . وأما المصانع التي تصنع ما لا يدخل في الملكية العامة فإنها تكون على كاهل الأفراد كما يصح أن تقوم بها الدولة . والبعض من هذه المشاريع - نتيجة لما تتطلبه من رؤوس أموال ضخمة - لا يقدر الأفراد على القيام به ، فتتولى الدولة إقامته فعليا مثل مصانع الطائرات والصواريخ والسيارات والآلات الحربية ، وإن كانت لا تمنع الأفراد من تملكه . وعلى هذا كانت قضية ما يجب أن يكون مما يسمى بالقطاع العام وما يجب أن يكون مما يسمى بالقطاع الخاص مبتوت فيها شرعا . أما طريقة تمويل هذه المشاريع الإنتاجية فينظر ، فإن كانت مما لا يحصل للأمة ضرر من جراء عدم إقامتها فينظر في بيت المال فإن كان هناك مال فاضل عن الحاجات الضرورية يُؤخذ ويُنفق عليها منه ، وإن لم يوجد تُؤجل هذه المشاريع إلى أن يوجد ما يلزمها من مال ، أما إذا كان عدم القيام بهذه المشاريع الإنتاجية يوقع الضرر بالأمة كما هي الحال في بلاد الإسلام فإن عدم وجود مصانع للآلات لدى المسلمين يجعل البلاد الإسلامية معتمدة في صناعتها وفي تسلحها على الدول الكافرة ويجعلها مربوطة بها ويجعل ثرواتها نهبا للكفار ، وتكون كل البلاد الإسلامية سوقا استهلاكية لمنتجات الغرب وسلعه ، فيبتز أموال المسلمين بتكاليف شراء الآلات والمصانع وبتكاليف شراء قطع الغيار وتكاليف الصيانة والإصلاحات . . وكل هذا ضرر من أفظع الأضرار ، ولذلك صار إيجاد مصانع الآلات فرضا على المسلمين لأن الضرر لا يُزال إلا بإقامتها ، وإزالة الضرر فرض على الدولة وفرض على الأمة فيجب على الدولة أن تقوم بإيجاد هذه المصانع سواء وجد لديها مال أم لم يوجد ، وذلك إن كان لديها مال في بيت المال يصرف منه على هذه المشاريع وإن انعدم فرضت ضرائب على المسلمين بقدر يكفي لإقامة هذه المشاريع على الوجه الذي يُزيل الضرر .

الغرب ومحاولات صرف المسلمين عن التفكير في الثورة الصناعية

إن نجاح الغرب في العالم الإسلامي لم يكن فقط في إحكام سيطرته على خيرات الشعوب أو في ربط البلدان الإسلامية بكافة أنواع الاستعمار : سياسي - اقتصادي - نقدي - عسكري - ثقافي ، وإنما في قدرته على توجيه الرأي العام والتأثير فيه ، ولذلك عني بأساليب المغالطات وبفن تزييف الحقائق وبأنواع التضليل ، واهتم بالإيحاء وأساليبه والإشاعات ووسائل بثها وبالتزييف والخداع ، واتخذ من هذه الوسائل كلها أدوات لتحقيق أغراضه ، وتاريخه في هذا المجال مع العالم الإسلامي حافل . فقديما برر الغرب استعماره العسكري للبلاد الإسلامية بما سماه إنقاذ الشعوب من الهمجية والوحشية ومن التقاتل والتخلف والانحطاط ، بتعليمهم طراز حياة أرقى من أجل تمدينهم وتحضيرهم ، كما برر استحواذه على ثروات البلاد عن طريق شركات النفط والحديد واليورانيوم بأن الشعوب الضعيفة لا تقدر على استغلال ثرواتها بنفسها بما أن التنقيب عنها واستخراجها يتطلب رؤوس أموال ضخمة ومعدات هائلة باهظة التكاليف ، فكان أن تسابقت الشركات الرأسمالية للفوز بعقود التنقيب والاستفراد بثروات تلك البلاد ، وكان هذا التنافس الاستعماري يشتد حتى يصل في بعض الأحيان إلى إحداث انقلاب عسكري مثل ما حدث في إيران أيام مصدق ، أو في إيجاد القلاقل والاضطرابات مثل ما جرى في إقليم شابا ، أو إيجاد الاضطراب الدائم والمستمر مثلما يقع في تشاد من أجل استخراج اليورانيوم . .

وفي مجال المحافظة على الواقع الحالي لم ينفك الغرب يمارس الإيحاء والمغالطة : فمثلا يوحي للمفكرين بالتغيير بأنه إذا كان الواقع الحالي نتيجة رواسب وتراكمات دامت أجيالا فإن التغيير سوف يستغرق عقودا طويلة من الزمن ، وكذلك يوحي إلى عملائه في الثقافة والفكر بأن الثورة الصناعية في أوروبا سبقها ما يسمى بفلاسفة التنوير الذين نظروا للفكر الحر الخلاق . وكذلك التقدم الصناعي يجب أن يكون على عدة مراحل خاصة أن الغرب يفوقنا بمئات السنين في

التكنولوجيا فتتطلب عملية اللحاق به عقودا طويلة . وهذا ما نلمسه في كتيبات الأمم المتحدة والبنك الدولي المعتمدة من قبل الدول والحكومات وعلى أساسها لا يسمح بإعطاء القروض ثنائية كانت أو عبر البنك الدولي والهيئات الدولية للمشاريع الصناعية الثقيلة

ومن أجل صرف العالم الإسلامي عن الثورة الصناعية شجع الصناعات الخفيفة والتحويلية بعد إقناع القائمين على الأمور بأن الصناعات الثقيلة باهظة التكاليف ومع انعدام التكنولوجيا المتطورة سوف يشهد قطاع الصناعات الثقيلة فشلا ذريعا ليس على مستوى السوق الحرة الدولية بل حتى على المستوى الوطني باعتبار افتقاد المنتوجات للجودة والاتقان وباعتبار أن أسعارها لن تكون إلا مرتفعة جدا مما يجبر المواطن على جلب نفس السلع من الخارج بأرخص الأثمان مع ضمان الجودة .

وإمعانا من الغرب في التضليل وفي صرف المسلمين عن التصنيع الثقيل عمل الغرب على عدم خنق قطاعات الفلاحة والتجارة ، فهذه البلاد تقوم بالثورة الزراعية وأخرى أوجدت دواوينا مثل ديوان الصيد البحري - التمور - الزيوت - القمح . . لبيع المحاصيل في الخارج بأرخص الأثمان والكثير من السلع الجيدة يمنع استهلاكها محليا ليُسوَّق في الخارج بأثمان زهيدة جلباً للعملة الصعبة . ورغم هذا الاستنزاف الواضح لهذه الثروات فإن فلاحي أوروبا بدأوا يتجمعون على أساس التصدي لاستيراد هذه المنتوجات من الخارج

ومن الأمور التي خطط لها الغرب في العالم الإسلامي ونجح فيها هو خلق قطاعات هامشية أدخلها عنوة في الأبحاث الاقتصادية وجعلها تلعب دورا أساسيا في الميزان التجاري لبلدان العالم الإسلامي وأعلى من شأنها بأن جعلها من المصادر الرئيسية في الاقتصاد مثل السياحة وبناء الفنادق والمطاعم والملاهي والمنتزهات ، حتى أن الكثير من البلدان جعلت للسياحة كتابة دولة أو حتى وزارة . كما شجعوا الصناعات التقليدية التي تزدهر مع التطور السياحي ، وكذلك الجمارك التي لن تكون مثل ما جعلوها أداة لحماية الإنتاج المحلي لديهم ، بل ستكون أداة للابتزاز وسرقة أموال الناس بالظلم والباطل .

أيضا من الأمور التي ضللونا بها هو أمرهم لأبواقهم بالمناداة بنقل التكنولوجيا إلى العالم الإسلامي ، وهذه الكلمة في الحقيقة لا تعني سوى إيجاد الأوضاع والظروف في الدول المتخلفة التي تمكنها من استخدام المنتجات الصناعية الحديثة ذات الطابع الاستهلاكي ، فالمكان الذي لا توجد فيه كهرباء لا يمكن أن تُباع فيه الثلاجات والأجهزة الكهربائية ، حتى لو كان فيه من يستطيع صنع هذه المنتوجات ، لذلك لا بد من تعميم مرفق الكهرباء في الدول المتخلفة ولو بقروض من الدول الصناعية لأن البلد الذي تعم فيه الكهرباء يصلح سوقا للكثير من المنتجات الصناعية ، وكذلك الحال بالنسبة لسائر المنتجات . فلا بد والحالة هذه من إيجاد المتعلمين والمهندسين والفنيين والأطباء وغيرهم لتشغيل واستخدام الأجهزة الصناعية التي تنتجها الدول المتقدمة ، لذلك كانت فكرة نقل التكنولوجيا خدعة كبرى المراد بها إلهاء المسلمين عن التفكير في التصنيع الثقيل ، تمهيدا لجعل البلاد الإسلامية سوقا استهلاكية للمنتوجات الغربية ، لذا فإن التعليم الذي يتم في هذه المجالات ليس لاستيعاب التكنولوجيا وإنما يكون على مستوى التشغيل لهذه الآلات والصيانة لها فقط .

إنه من الواجب أن تتم توعية المسلمين على هذا الموضوع الخطير دفعا للأضرار الحاصلة الآن لهم من جراء خيانة وعمالة الحكام . هذه الأضرار لن تُدفع حقيقة إلا بالقضاء على حكمهم جميعا وتنصيب خليفة واحد يباشر الحكم بالأحكام الشرعية ويباشر مسؤولية القضاء على هذا الضرر وذلك بتركيز صناعة للآلات تكون الأساس في التصنيع الحقيقي وفي تركيز الكثير من الصناعات التي تحتاجها البلاد ، فتتخلص الأمة وتنقذ نفسها من كافة أنواع التبعية والاستعمار وتتمكن من لعب دورها الأساسي في إنقاذ البشرية من العقائد الباطلة والنظم الفاسدة .

أولياء الله

الصديق أبو بكر رضي الله عنه

ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون

بلغت شخصية الصديق رضي الله عنه من الكمال ما جعلها مثالا صادقا ومرآة جلية للشخصية الإسلامية في أرقى منازلها وأبهى صورها . والمتأمل في بعض الوقائع من حياته رضي الله عنه يلمس كيف كانت استجابته لأمر الله انقيادا تاما . وعطاؤه لدعوة الله خالصا غير منقوص . حتى لكأنما قول ابنته أم المؤمنين عائشة رضي الله تعالى عنها في وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم " كان قرآنا يمشي على الأرض " يعبر أيضا عن حال أبيها .

فهو كما رأينا في العدد الماضي تلبس بحمل الدعوة للإسلام بمجرد امتناقه له ، وهدى الله على يديه الصفوة من السابقين الأولين ، ولم يدخر جهدا ولا مالا في رفع المعاناة عن المستضعفين من المسلمين ، ولم يأبه لقريش وصدها وأذاها له ، وحين دخل في جوار ابن الدغنة لم يذعن لطلبه الذي طلبته منه قريش ورد جواره عليه ، ولجأ إلى جوار العزيز الحميد .

وظل أبو بكر رضي الله عنه مصاحبا لرسول الله صلى الله عليه وسلم في أجل الأعمال وأخطر المراحل التي مرت بها الدعوة وتأسيس الدولة ، فحين تجمد المجتمع في مكة أمام رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصبحت الدعوة تراوح في مكانها انطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم يضيف لأعماله السابقة عملا جديدا يستهدف به كسر ذلك الجمود الذي لقيه في مكة حتى يتمكن من إبلاغ رسالة ربه لتحكم الحياة الدنيا ، فبدأ في دعوة أهل القوة والمنعة من قبائل العرب للإسلام ولنصرته حتى يبلغ عن الله رسالته ، ولم يكن أبو بكر ليغيب عن رسول الله في هذا العمل الجليل ، خاصة وأن الله قد وهبه ميزة المعرفة الدقيقة لقبائل العرب وأنسابها فضلا عن حسن سيرته لديها ، لذا فقد صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم أثناء عرضه نفسه على القبائل .

جاء في الروض الأنف للسهيلي : [ذكر قاسم بن ثابت والخطابي عرضه نفسه على بني ذهل بن ثعلبة ثم على بني شيبان بن ثعلبة ، . . . قال : ثم دفعنا إلى مجلس آخر عليهم السكينة والوقار ، فتقدم أبو بكر فسلم ، قال علي : وكان أبو بكر مقدما في كل خير ، فقال : ممن القوم ، فقالوا : من شيبان بن ثعلبة ، فالتفت أبو بكر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : بأبي أنت وأمي هؤلاء غرر في قومهم ، وفيهم مفروق بن عمرو وهانيء بن قبيصة ومثنى بن حارثة والنعمان بن شريك وكان مفروق بن عمر قد غلبهم جمالا ولسانا وكانت له غديرتان تسقطان على تريبتيه وكان أدنى القوم مجلسا من أبي بكر ، فقال له أبو بكر : كيف المنعة فيكم ، فقال مفروق علينا الجهد ولكل قوم جد ، فقال أبو بكر : كيف الحرب بينكم وبين عدوكم ، فقال مفروق : إنا لأشد ما نكون غضبا حين نلقى وإنا لأشد ما نكون لقاء حين نغضب وإنا لنؤثر الجياد على الأولاد والسلاح على اللقاح والنصر من عند الله يديلنا مرة ويديل علينا ، لعلك أخو قريش ، فقال أبو بكر : أوقد بلغكم أنه رسول الله فها هو ذا ، فقال مفروق : قد بلغنا أنه يذكر ذلك فإلى ما تدعو إليه يا أخا قريش ؟ . . . .] .

في هذا الموقف تتجلى الاستنارة في التفكير لديه رضي الله عنه ، فقد كانت أسئلته موجزة العبارة بدقيقة الصياغة متوجهة إلى الموضوع الذي يستهدفه السعي إليهم ، مما يدل على وهوح الغاية لديه رضي الله عنه ، ورده على مفروق بن عمرو بقوله : [أو قد بلغكم أنه رسول الله] يظهر سرعة بديهته رضي الله عنه ، فكأنه يريد أن يجعل ذلك مسلمة بديهية لدى بني شيبان في الوقت الذي تتنكر

قريش لذلك ، ليجعل من ذلك أساسا للحوار معهم لعل ذلك يجعل قبولهم لطلب رسول الله صلى الله عليه وسلم سهلا ميسورا .

وواصل أبو بكر رضي الله عنه عطاءه وبذله حتى قضى الله له بأن يصحب رسول الله صلى الله عليه وسلم في هجرته إلى المدينة ليباشر بناء دولة الإسلام ويجعل دين الله متحكما في الحياة كما تحكم في نفوس المهاجرين والأنصار ، وفي الهجرة تتجلى عظمة أبي بكر في أروع صورة ، فلم يدخر جهدا لإنجاح الهجرة ، فسذر لها ليس فقط ذاته ، بل أهله وماله وداره وخادمه ، ولنتأمل معا في أحداث الهجرة كما رواها ابن إسحاق لنرى كيف يكون عطاء المسلم لدعوته وكيف يكون تقديم الله ورسوله على النفس والمال والولد والعشيرة والمتاع .

قال ابن إسحاق : [فلما أجمع رسول الله صلى الله عليه وسلم الخروج ، أتى أبا بكر بن أبي قحافة ، فخرجا من خوخة لأبي بكر في ظهر بيته ، ثم عمدا إلى غار بثور - جبل أسفل مكة - فدخلاه ، وأمر أبو بكر ابنه عبد الله بن أبي بكر أن يتسمع لهما ما يقول الناس فيهما نهاره ، ثم يأتيهما إذا أمسى بما يكون في ذلك اليوم من الخبر ، وأمر عامر بن فهيرة مولاه أن يرعى غنمه نهاره ، ثم يريحها عليهما ، يأتيهما إذا أمسى في الغار . وكانت أسماء بنت أبي بكر تأتيهما من الطعام إذا أمست بما يصلحهما] .

هكذا يكون البذل ، كل ما يملك وكل من له عليه سلطان ، مع تفكير مستنير وإبداع سياسي في الأخذ بالأسباب ، فقد خرج من ظهر البيت ، وهو يجمع المعلومات عما يدور بقريش ويسخر ابنه لذلك ، ويأمر خادمه أن يُسير الغنم لمحو آثار سيرهما ، ويدبر أمر الزاد حيث تحضر ابنته أسماء الطعام لهما في الغار .

أما تقديمه رسول الله على نفسه ، واستعداده للتضحية بنفسه لدفع أي أذى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فترويه لنا الرواية التالية :
قال ابن هشام : [وحدثني بعض أهل العلم أن الحسن بن أبي الحسن البصري قال : انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر إلى الغار ليلا ، فدخل أبو بكر رضي الله عنه قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فامس الغار ، لينظر أفيه سبع أو حية ، يقي رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه] .

ويقول ابن إسحاق : [فلما قرب أبو بكر رضي الله عنه الراحلتين إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم له أفضلهما ، ثم قال : اركب فداك أبي وأمي ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إني لا أركب بعيرا ليس لي ، قال : فهي لك يا رسول الله ، بأبي أنت وأمي ، قال : لا ، ولكن ما الثمن الذي ابتعتها به ؟ قال : كذا وكذا ، قال : قد أخذتها به ، قال : هي لك يا رسول الله . فركبا وانطلقا ، وأردف أبو بكر الصديق رضي الله عنه عامر بن فهيرة مولاه خلفه ، ليخدمهما في الطريق] .

يتجلى هنا أيضا مدى إيمان أبي بكر وتوكله التام ، إذ لم يفكر في ذريته التي خلفها ، فهو يدرك أن الله الحي الذي لا يموت يكفلهم ، والرزق بيده وحده سبحانه ، ويدرك أن الدار الآخرة هي الحيوان ، وأن التقوى هي خير زاد يتركه خلفه ، فلم يتردد في حمل كل ماله معه ، فالهمة الأولى والغاية الكبرى التي وهب لها كل شيء هي نصرة الدعوة .

قال ابن إسحاق : فحدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير أن أباه عبادا حدثه عن جدته أسماء بنت أبي بكر قالت :
[لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وخرج أبو بكر معه ، احتمل أبو بكر ماله كله ، ومعه خمسة آلاف درهم أو ستة آلاف ، فانطلق بها معه . قالت : فدخل علينا جدي أبو قحافة ، وقد ذهب بصره فقال : والله إني لأراه قد فجعكم بماله مع نفسه . قالت : قلت : كلا يا أبت ! إنه قد ترك لنا خيرا كثيرا . قالت : فأخذت أحجارا فوضعتها في كوة في البيت ، التي كان أبي يضع ماله فيها ، ثم وضعت عليها ثوبا ، ثم أخذت بيده ، فقلت : يا أبت ، ضع يدك على هذا المال . قالت : فوضع يده عليه ، فقال : لا بأس ، إذا كان ترك لكم هذا فقد أحسن ، وفي هذا بلاغ لكم .
لا والله ماترك لنا شيئا ، ولكني أردت أن أسكن الشيخ بذلك] .

نلمح أيضا من خلال هذه المواقف الجو الإيماني الذي ساد في دار أبي بكر والذي نشأت فيه تلك الذرية الصالحة المباركة ، فقد كانت استجابة أبناء أبي بكر وقيامهم بما كُلفوا به مطلقة تكشف عن معدنهم وعن معدن أبيهم .

لقد كَرَّم الله سبحانه وتعالى أبا بكر جزاء لذلك الموقف العظيم بإثبات صحبته لرسول الله صلى الله عليه وسلم في أي الذكر الحكيم حيث قال تعالى :
{ إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا ، فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم] .

هذه هي صورة خاطفة لأبي بكر حامل الدعوة قبل قيام دار الإسلام .

بقلم : م . حمادي

العقلية الرأسمالية ومدى سيطرتها على أذهان المسلمين

بقلم :
محمد حامد
القيروان

من المعلوم أن العقلية هي الكيفية التي يجري على أساسها عقل الأشياء أي هي الكيفية التي بها نعقل الأشياء وتتكون لنا بها الأفكار ومن خلالها نطلق الأحكام على الأشياء والوقائع والأحداث ، وبعبارة أوضح هي الكيفية التي يجري على أساسها تكوين المفاهيم والمقاييس والقناعات عند الناس .

ومن المؤسف حقا أن نعترف بأن الأساس الذي يجري عليه التفكير عند المسلمين وبه تتكون وجهة نظرهم في الحياة وعنه تتفرع مفاهيمهم ومقاييسهم وقناعاتهم ليس هو العقيدة الإسلامية ، وإنما الواقع الحاصل أن المسلمين عامة والعلماء والمفكرين والسياسيين خاصة لديهم عقلية رأسمالية : أي يفكرون ويكونون الآراء ويطلقون الأحكام ويكونون وجهة نظرهم وينظرون للأشياء والوقائع والأحداث من زاوية ليست هي زاوية الإسلام .

وبعد هذا من أبرز النجاحات التي توصل الغرب لتحقيقها . ولا أدل على ذلك من تفشي الرضا بالحلول الوسط وبأنصاف الحلول ، ومن نزوع للترقيع والإصلاح ، ومن معالجة للنتائج دون أسبابها ومظاهر الأزمات دون حقيقتها ومن تصدي لمعالجة القضايا الفردية مع إهمال شبه مطلق لقضايا المجتمع ولقضايا الأمة ومنها قضاياها المصيرية ، وحتى القضايا الفردية فإنها لا تعالج كلية ، لإهمالهم للمكونات الأساسية لشخصية الإنسان وتركيزهم على جوانب هامشية .

إن نظرة بسيطة لعامة المسلمين تجعلنا نفهم أن المسلم فقد مقياس الحلال والحرام لأعماله وعوضه بمقياس المنفعة أو المصلحة كماتصورها الحضارة المادية . وكذلك مفهوم السعادة لم يعد ذلك الذي يحقق نوال رضوان الله سبحانه وتعالى بل عوض بما صورته حضارة الغرب من أنه تحقيق لأكثر ما يمكن من متع وملذات وإشباع لأكثر ما يمكن من رغبات وهي دائما مادية . وهذا ما جعل الناس يجرون وراء مصالح آنية أنانية ويهملون مطالب مبدئية . بها ينتم انتشالهم من حالة التردي والضياع . وفيها حياتهم الحقة . وجعلت الفقهاء يعللون الأحكام ويقيسونها بما يكمن فيها من منافع ومضار . وهكذا أصبحت الأخيرة أسبابا لكثير من الأحكام . . ولم تعد المصالح شرعية أي يعينها الشرع بل يعينها العقل والأهواء .

وهذا المنطق النفعي حدا بالحركات ومنها التي تدعي العمل للإسلام الركض وراء تحصيل مكاسب حزبية على حساب ما يطلبه المبدأ وهذه قاعدة مشهورة عند الرأسماليين بقاعدة خذ وطالب .

وهذا المنطق النفعي نتج عنه بُعد هذه الحركات عن المبدأ وعدم تحقيق حتى هذه المطالب الآنية الآنانية العاجلة ، والنتيجة أنها فقدت مصداقيتها ببعدها عن المبدأ ، وخدعوها بتحقيق مطالب لن تتحقق لها .

أيضا فإن المجتمع في بلاد المسلمين لم يعد يهتم بتحقيق كل القيم التي يحتاجها وتضمن رفعته ورقيه ، بل اتبع خطى الغرب الذي جعل القيمة المادية وحدها هي الأساس وأهمل القيم الأخرى بانصباب اهتمامه على تحقيق رغبات الناس وشهواتهم بما أن ذلك يحقق سعادتهم ، حتى ولو كانت هذه الرغبات غير مشروعة .

وهكذا ظهر في مجتمع المسلمين عدم الاهتمام بما يجب أن يكون عليه مجتمعهم من رفعة وسمو ومن علاقات راقية ، فبرز بينهم البغاء ودور المجون ونشطت تجارة المخدرات والخمور ، وأصبحت السياحة من المقومات الأساسية لاقتصادهم .

وما دام عامة الناس وعلماؤهم ومفكروهم وقادة حركاتهم وأحزابهم يجرون على هذا المنطق النفعي وحبيس هذه العقلية الرأسمالية ، فإنه لا ينتظر نهضة ولا أمل في تحرر من كل أنواع التبعية والاستعمار ولا في اقتعاد الأمة المكانة التي يجب أن تتبوأها بين الأمم .

أليست العقلية التي زرعها الكفار هي التي جعلت الناس على هذه الحال ؟ ولماذا تركت الأمة واجب الجهاد وأصبحت تتبع ذليلة خطى الغرب وتسلم له بحل قضاياها ، ورضيت بأنواع التبعية والاستعمار وبسيادة الكفر تطبق على كل نواحي حياتها .

أليس ذلك لأن عقليتها والزاوية التي ينظر منها للأحداث والوقائع لم تكن الإسلام وإنما عقلية الكفر ، ولماذا تفشت الأنانية الفردية والرابطة القبلية العشائرية ورابطة الوطن والإقليم والرابطة القومية واستعيض بها عن رابطة المبدأ ؟ وحتى الحركات العاملة للإسلام ظلت حبيسة هذا المفهوم الضيق ، إذ أنها رغم ادعائها عالمية الإسلام إلا أنها ظلت حبيسة المنطق الوطني أو القومي ، بل أصبحت على الغالب حركات وطنية تدين بالولاء للأوطان ولا تستمد فكرها ومنهجها في التغيير من المبدأ ، بل تعمد إلى لوي أعناق النصوص وإلى التلفيق الفقهي حتى يوافق مذهبها الواقعي .
أليس ذلك تأثرا بمنطق النفعية ؟.

ولماذا فقد الناس التصور للقضايا المصيرية وفقدوا الحمية في الدفاع عن عقيدتهم ومقدساتهم وأعراضهم وأموالهم ؟ ولماذا رضوا واستسلموا للكفر والنفاق والفسق والمجون والزندقة تتفشى فيهم وركنوا لأوضاعهم المزرية ؟ لماذا يستبعدون الإسلام عن مشاكل الحياة وعلاقات المجتمع وينفون عنه رعاية الشؤون بل تراهم ينفون عنه السياسة ويزدرون العمل السياسي ويمتنعون عن محاسبة حكامهم والتغيير عليهم وتغييرهم ، بل بالعكس نجدهم يسوقونهم سوقا كالخرفان ؟ لماذا يصرون على جعل عقيدتهم عقيدة روحية ويصرون على استبعاد كونها عقيدة سياسية ؟ ولماذا يفصلون بين الحياة وما قبلها وما بعدها ؟ ويفصلون بين الدين والحياة كأن هذه الحياة ليست مخلوقة للخالق وكأن بعد هذه الحياة ليس هناك حساب !

إن سيطرة العقلية الرأسمالية على أذهان الحركات والأحزاب ومنها الإسلامية هي التي جعلتها تنظر للمجتمع على أنه مكون من أفراد ، ولذلك فإن صلاح المجتمعات لا يكون إلا بإصلاح أفرادها ، فتوسلوا إلى تغيير المجتمعات بتغيير أفرادها وهذه النظرة لم ينج منها لا الفقهاء ولا المفكرون ولا السياسيون .

فبرامج تغيير المجتمعات هي نفسها برامج تغيير الأفراد ولذلك لا نجدها تتبنى أحكام الأنظمة المتعلقة بالمجتمع بل تعتمد على أحكام تربوية كتهذيب الأخلاق وتنقية الروح من النوازع المادية ، والتكوين الجسماني وتنمية الأجساد ، وبهذا تتوسل إلى تغيير المجتمعات ، وحتى إذا ما ادعت أنها تملك بدائل للواقع الفاسد فالأمر لا يعدو أن يكون أنظمة غربية مشوهة وملفقة ، وحتى منظرو هذه الحركات اهتموا بالأحكام المتعلقة بالفرد (الصلاة - الصوم - الزكاة - الوضوء - التيمم - الصفات الأخلاقية - السنن المندوبات) وغيبوا أحكام نظام الحكم والنظام الاقتصادي والنظام الاجتماعي وأحكام السياسة الخارجية

ترجو النَّجاةَ ولم تسْلُكْ مَسَالكَهَا
إنَّ السفينةَ لاتجْري علَى اليَبَسِ

فالنظمية وأحكامها لها أهمية وخطورة أكثر من قواعد الحكم وأركانه ومن شروط الخليفة ، وكذلك أحكام المصافحة .

فإهمال قضايا المجتمع وقضايا الأمة ظاهر وجلي ، والابتداء كان بعدم تعريف المجتمع التعريف الجامع المانع إذ بهذا وحده تتحدد مكونات المجتمع وطريقة تغييره تغييرا جذريا ، فسلموا بمقولة أن المجتمع مكون من أفراد ولم يبحثوا في واقعها ولا في مطابقة هذه المقولة للواقع . فالمنطلق الخاطيء يؤدي إلى النهاية الخاطئة ، والمنطلق كان من عقلية رأسمالية فاسدة والنتيجة كانت طاحنة : تكريس للواقع وتجذيره وتطويل أنفاس الأنظمة الفاسدة ، ومرارة الانحراف عن النهج الصواب ثم فقدان المصداقية وبعث اليأس في نفوس الجمهور من العمل السياسي .

فالعقلية الرأسمالية تفرض منطق النفعية وهذا المنطق يبرر كل الوسائل المعتمدة للوصول إلى الغاية ، وإذا أصبحت الغاية تبرر الواسطة سقطت هذه الأخيرة في الميكيافيلية ، وأصبحت من جنس الحركات الفاسدة والانتهازية ، ولهذا نجد هذه الحركات تمد خيوط وصل مع الأنظمة الفاسدة إذا رأت أن ذلك يحقق لها فائدة ، وإذا انعدمت سبل الاستفادة عمدت إلى المواجهة والمنازلة مع أن واقع هذه الأنظمة واحد لم يتغير ، إلا أن المنطق النفعي والوصولي هو الذي دفعها إلى هذين العملين المتناقضين ، ونفس المنطق هو الذي يدفعها إلى الاتكال على الأجنبي والسعي لكسب رضاه ودعمه لها ضد خصومها .

إن النظرة الفردية للمجتمع جعل هذه الحركات تهمل الأنظمة ودَوْر الأفكار والمشاعر على تغيير العلاقات . فهي وإن ادعت تصديها للأنظمة القائمة إلا أنها لا تتصدى حقيقة للعلاقات ، لأن التصدي للأنظمة هو في جوهره - قبل الكفاح السياسي - تصد فكري فيه كشف زيف ما تقوم عليه من أفكار وفساد القوانين التي تعالج العلاقات . وفي غياب هذا الأمر فإن الادعاء بمناهضة الأنظمة لا يعدو أن يكون لأشخاص الحكام لا لما يطبقونه من أنظمة وهنا يبرز الأمر كأنه مبني على حزازات شخصية أو انفعالات مشاعرية ، أو لتعارض مصالح ، ولا يمكن أن يرقى حتى يكون مبني على نقض فكري به تنسف الأنظمة القائمة من الأساس .

وعلى هذا يكون التصدي للأنظمة تصديا للعلاقات الدائمة التي يقوم عليها المجتمع وهذه مكونة من الأنظمة والأفكار والمشاعر ، وضرب العلاقات السائدة في المجتمع يكون بهدم الأفكار التي تقوم عليها والقوانين التي تسير بها والمشاعر التي تسودها .

وفي غياب هذا لا يتصور تصدي بالتغيير للعلاقات القائمة في المجتمع وإذا أضفنا عدم التحديد الفكري للأنظمة التي يجب أن تقوم مقام الأنظمة الفاسدة كما بحددها المبدأ فإن ادعاء العمل للتغيير ولإيجاد الدولة الإسلامية هو ضرب من الخيال أو بمثابة من يجري وراء سراب .

إن العقلية الرأسمالية هي السبب في هذا الواقع المر الذي يكبل هذه الحركات ويجعلها لا تعرف كيف تهدم ولا ماذا تبني وكيف تبني . فهذه الحركات لا تكشف للأمة فساد الأنظمة التي تُساس بها لأنها لم تقم بنقضها فكريا ولم تقم بعملية البناء داخل الأمة وذلك بالتركيز العقائدي وتبني ما تحتاجه الأمة من أحكام الأنظمة ، فبماذا ستقود الأمة إذا ؟

إن المنطق النفعي سوف يقوم بالتعبير عن هذا . . صلّ فإن السجود يمنع أمراض المخ والأعصاب ، والجلوس للتشهد يساعد المرارة على إفراز سائلها ، وإقامة دولة الإسلام سوف يقضي على البطالة والفقر وسوف يحل كل المشاكل ولو كانت لأفراد الناس فمن كان أعزب تزوجه

الدول ، ومن كان عاطلا شغلته ، والدولة تكفل اليتامى والأرامل والمساكين ، وسوف تجعل من بلاد المسلمين جنة على الأرض ، وهكذا يغرق الناس في الأحلام الوردية . . وهو ما يجعلهم يتعلقون بالجانب النفعي من الأحكام فيكون ارتباطهم بها رهين تحقق تلك المنافع ، وهذا خطير جدا لأن المصلحة عرضة للمساومة على مصلحة أكبر منها ، وإذا انتفت المصلحة انتفت العلاقة التي تقوم عليها .

أما فقهاء عصور الانحطاط فقد أطنبوا في أحكام الحيض والنفاس والوضوء والتيمم والطهارة والأخلاق وحسن المعاملة وحسن الجوار ، وأهملوا الفقه المتعلق بالمجتمع وأنظمته من نظام اقتصادي ونظام اجتماعي ونظام حكم وسياسة تعليم وسياسة خارجية والتفاصيل المتعلقة بذلك كله .

إن هذا التضخيم للأحكام الفردية ما هو إلا نتاج النظرة الفردية للمجتمع ، وحتى هذه النظرة الفردية فإنها مبنية على نظرة فاسدة للإنسان من أنه مكون من مادة وروح ، أو أن مظهر الإنسان الخارجي وتكوينه الوراثي والبيئة من محددات شخصيته ، أو أن الأخلاق من المكونات الأساسية لشخصية الإنسان . . فكل يذهب مذهبه وكل يحذف ويضيف ما يريد مع أن الإنسان ماهيته واحدة لم تتغير ولن تتغير وبالتالي مكونات شخصيته ثابتة لا تتغير ، فلا نتعجب إذا إن رأينا منهم تركيزا على اللحية وحكمها والدخان والطهارة والتواكل وآداب الأكل وآداب دخول المسجد وآداب الجماع وآداب دخول بيت الخلاء ، وماذا يقال عند لبس الثياب الجديدة وعند النوم ، فلم يتركوا شيئا متعلقا بالفرد إلا فصلوه ودققوا فيه وبحثوا كل جوانبه ، مع إهمال كبير ومطلق للأحكام المتعلقة بأنظمة المجتمع وبفروض الكفاية التي على الأمة وبالقضايا المصيرية ، فهذه لا يعنون أنفسهم بها ولا يبحثونها ، أرأيتم ماذا جنينا من هذه العقلية الفاسدة والتي فرضها علينا الكفار فرضينا بها وخضعنا لها وأصبحنا نفكر على أساسها !؟

أما المفكرون والساسة والعلماء فلم ينجوا من هذه العقلية بل بالعكس نجدها قد تغلغلت فيهم إلى الأعماق ، إذ قد حصلت لهم القناعة بكل النظريات والأفكار الواردة فيما يسمى بعلم الاجتماع وعلوم التربية وعلم النفس وعلم الإحصاء ، وهم ينظرون بإكبار وإعجاب وحتى قداسة للطريقة العلمية في التفكير ، والتي بها يبحثون كل شيء ويُخْضِعون لها كل شيء ، فحالهم كحال من يسمون في القديم بالفلاسفة الذين اعتنقوا علم المنطق وأخضعوا له كل شيء وسلموا بكل ما توصلوا إليه في أبحاثهم ولو تعارض مع عقيدتهم ، أما هؤلاء فأمرهم أعقد ومشكلتهم أعوص لأنهم باتخاذهم للطريقة العلمية كأساس للتفكير فإنهم أقحموها حتى فيما هو ليس بميدانها ، وفيما لا يمكن أن يخضع للتجربة كالإنسان والأفكار والمجتمع فخرجوا بأفكار مخيفة تافهة والتي وإن دلت على شيء فهي تدل على جهل من توصل إليها ولكنهم بتقديسهم لهذه الطريقة في التفكير سلموا بما توصلوا إليه ولو ناقض العقل أو ناقض العقيدة

إنهم مثلا سلموا بأن المجتمع مكون من أفراد رغم أن هذه الفكرة الواردة فيما يسمى بعلم الاجتماع نابعة من الثقافة الرأسمالية ولم تنقل بها الطريقة العلمية ، وهم نتيجة لقناعتهم بهذه النظرية فإنهم يقيسون ما يحصل مع أفراد الناس على المجتمع فسقطوا في القياس الشمولي والتعميم الفاسد والخاطيء ، وفي هذا المجال يستحضرنا الكثير من الأفكار السخيفة حول متوسط الدخل الفردي أو متوسط الأعمار وطريقة سبر الآراء فيما يسمى بعلم الإحصاء ، . . أما الأفكار المتعلقة بالإنسان فهي أكثر جهلا وسخفا ، فهم مثلا يسلمون بالأفكار الواردة في علم النفس ، وهم متأثرون بنظريات فرويد الذي يجعل سلوك البشر في الحياة راجع لغريزة واحدة هي الجنس ولذلك يتحدث عن الكبت الجنسي الذي يكبل الإنسان ويعجزه عن الإبداع والابتكار .

وعلماء النفس يقولون بأن للإنسان غرائز لا تحصى ولا تعد ، ولجهلهم لم يفرقوا بين الغرائز ومظاهرها ، ولذلك كانت كل الأفكار التي أوردوها والتي تعتمد على هذه النظرية فاسدة وتعبر عن الجهل بالإنسان ، أما علماء التربية فأمرهم مضحك إذ تحدثوا عن تقسيم دماغ الإنسان وعن اختصاص كل قسم منه بمادة من مواد التعليم ، ولهذا قسموا التعليم إلى مراحل : في المرحلة الأساسية يدرس التلميذ كل المواد من علمية أو أدبية أو دينية ، وفي آخر هذه المرحلة

تحسب النتائج فإن حصل التلميذ مثلا على درجات عالية في الحسابيات وكانت حصيلته في الأدبيات ضعيفة أرجعوا ذلك إلى أن الجزء الخاص من الدماغ والمتعلق بالحسابيات كان متسعا ونشطا ، وهذا حال المهندسين والفيزيائيين ، فيوجه التلميذ إلى المواد العلمية باعتبار أن ذلك يوافق طبيعة دماغه ، وهكذا بعد المرحلة الأساسية من التعليم يأتي التوجيه إلى المواد التي ينبغ فيها التلميذ والتي توافق طبيعة دماغه ، وهذا كله فاسد وباطل ، والعجب أن التعليم في كل أنحاء المعمورة يخضع لهذه النظرية الباطلة .

أما الساسة فهم مع تغلغل العقلية الرأسمالية في أعماقهم إلا أنهم زادوا على المفكرين والعلماء بكونهم يتعاملون مع شعوبهم بمنطق الغاية تبرر الوسيلة ، ولذلك - حتى يلاقوا قبولا عند الناس - فهم يحترفون سياسة الكذب والدجل ويتظاهرون بالتقوى والطهر ونظافة اليد ، ويستغلون أجهزة الإعلام في التباهي بإنجازات كاذبة للدعاية لأنظمتهم الفاسدة ، فهذه الأجهزة تقلب الحقائق وتزور الأحداث ، فإذا ما كانت الدولة تعاني من عجز في ميزان مدفوعاتها أو مكبلة بالديون لفائدة صندوق النقد الدولي ، فهي تخفف من مرارة الواقع بالادعاء بأن الأزمة العالمية مست الكبار وجعلت البطالة تتفشى فيها ، فما بالك بالدول الصغيرة .

ويُعَرِّجون بأنهم جادون في معالجة الأزمة وأن اقتصادهم بخير وأنهم في طريق النمو ، ومنذ عقود وهم يقولون هذا الكلام وما زالوا في طريق النمو ، فالطريق إلى النمو يستغرق دهورا أطول من النمو نفسه ، وبهذا ضحكوا على الشعوب وبهذا ساقوها وسادوها .

وهناك أمر يلجأ إليه هؤلاء إذا انسدت الآفاق أمامهم إذ تراهم يعمدون إلى تغيير الأشخاص في المناصب الوزارية ، ويوهمون الناس بأن التغيير سوف يأخذ بيد الضعيف وسوف يفتح الآفاق للطاقات الإبداعية وسوف وسوف وسوف ، والناس ينتظرون ودار لقمان على حالها لا تتغير ، وإذا ما حدث تململ شعبي نتيجة لتدني القدرة الشرائية للمواطن وكان الصدام بين الناس والأجهزة القمعية لهذه الأنظمة فإن تلك الأنظمة تظل فوق كل شبهة ، ولا يفهم الناس أن مصيبتهم ليست فيمن يحكم ولكن في الأنظمة الفاسدة العفنة .

ونتيجة لهذه العقلية الوصولية استطاع هؤلاء الخونة أن يفلتوا من غضب الأمة وأن يروضوها وأن يتلاعبوا بها كيف شاؤوا .

إن العقلية الرأسمالية التي غرسها الكفار في هذه الأمة منذ أن احتلوا بلاد المسلمين وأثناء حكم عملائهم قد جعلت مفهوم المنفعة أو المصلحة من مفاهيم الأعماق إذ طبعت كل أنواع العلاقات وجعلت أبناء المسلمين تتفشى فيهم الأنانية وحب الذات وجعلت النزعة الفردية هي الطاغية في مجتمعهم .

فبهذا قضت على الروح الجماعية التي أرادها الإسلام أن تكون وعبرت عنها النصوص الشرعية :

" مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى "

" لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه "

" المسلم أخو المسلم لا يسلمه ولا يخذله ولا يظلمه "

" من لا يهتم بأمر المسلمين فليس منهم " .

كذلك جعلت عامة المسلمين يُقْصرون حياتهم على الركض وراء حياة وأي حياة ، حياة يقذف لهم فيها بالفضلات والفتات مما فاض على موائد المترفين والمسرفين ، مما جعل طليعة هذه الأمة - وهي أملها في أن تأخذ بيدها من أجل النهوض بها وتخليصها مما تكابده - تعجز عن التضحية بمكاسبها الدنيوية وعن تسخير طاقاتها وأوقاتها من أجل هذا الهدف العظيم ، بل وصل الحد بالبعض إلى تقديم الروابط المنحطة من رابطة قبلية أو عائلية أو وطنية أو مصلحة على رابطة المبدأ وعما تتطلبه هذه الرابطة فكان واقعنا خلاف ما تتطلبه الآية [قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا .] وهو ما قلب سلم القيم والترتيب الذي فرضه الشارع عليها .

حوار مفتوح
حول
دستور دولة الخلافة

من منطلق ثقتنا الراسخة بالله عز وجل ، وبنصره الذي لا ريب فيه والذي سيتمثل في عودة السيادة على الأرض لدين الإسلام متجسداً في دولة خلافة راشدة على منهاج النبوة ، تعرض مجلة الوعي دستوراً للدولة الإسلامية التي يعمل المسلمون لإيجادها بعون الله ، وهي إذ تقوم بهذا العرض للدستور تدعو المسلمين عامة والمفكرين والعلماء وأصحاب الرأي وقيادات العمل الإسلامي خاصة لإبداء رأيهم والمشاركة بفعالية في مناقشة الأمر ، والمجلة ترحب بالمراسلة على عنوانها أو الاتصال المباشر بمراسليها وتأمل في أن تصلها النصائح سواء كانت في صورة نقد لفكر أو حكم أو كانت في صورة اقتراح بالإضافة والتوسع . ومع علمنا بالجهد المبذول في البحث والدراسة والتفكير في هذا العمل إلا أننا نقرر الحقيقة الثابتة وهي " رأينا صواب يحتمل الخطأ " . ولذا نكرر القول بأننا نرحب من أعماق قلوبنا بأي تصحيح لحكم قد يكون استنبط على غير وجه صحيح ، أو تصويب لواقع لم يدرك بشكل كامل ، وما إلى ذلك .

والأسباب التي دعت إلى طرح الدستور على صفحات هذه المجلة هي التالية :

١ - نعتقد أن بيان صورة الحياة الجديدة التي يسعى المسلمون لاستئنافها يساعد على بلورة وتجسيد هدف الحركة الإسلامية في عقول ونفوس الأمة مما يفوّت على أعدائها فرصة تخدير الأمة بإصلاحات جزئية هنا أو هناك ، ولعل ذلك يساعد على جمع كلمة العاملين للإسلام ، حيث أن وحدة الفكر - القائم على العقيدة والمستمد من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم - هي أقوى عامل بل هي العامل الأساسي في جمع كلمة المسلمين حين يغيب الخليفة صاحب السلطان الذي تجتمع الأمة حوله وفي دولته .

٢- يوجد الكثير من أبناء المسلمين ممن انخدعوا بالعلمانية والاشتراكية ، ووصل بهم الأمر إلى أن يصفوا الإسلام بخلوه من أحكام لتسيير الحياة في العصر الحديث ورموا الحركة الإسلامية بعجزها عن تقديم النظام السياسي البديل من الإسلام ، وقالوا إن الحركة الإسلامية ليس لديها أي محتوى حقيقي لشعار "الإسلام هو الحل" وإيماناً منا بأن كل إنسان فيه قابلية الرجوع إلى الحق وخاصة إذا كان هذا الحق جليا واضحا وجدنا في عرض الدستور فرصة لهم كي يطلعوا على حقيقة الإسلام ويبدأوا في حوار موضوعي بعيد عن أسلوب الجدل العقيم ، فلعلهم يدركون صلاحية الشريعة الإسلامية لكل زمان ومكان ، وذلك من خلال اتساع نصوصها لاستنباط أحكام متعددة ، واتساع الأحكام ذاتها للانطباق على مسائل كثيرة متعددة ومتجددة ، مما جعل الشريعة وافية بمعالجة كافة مشاكل الحياة .

لماذا هذا الدستور؟

على قدر ما توفر من علم لدى الجماعة يعتبر هذا الدستور هو الدراسة الرائدة والجديرة بالعرض في هذا المجال نظراً للتالي من الأسباب :

١ - تتميز مواد هذا الدستور بأنها آراء وأفكار وأحكام إسلامية ليس غير وليس فيها أي شيء غير إسلامي ولا متأثرة بأي شيء غير إسلامي، بل هي إسلامية بحسب ما تعتمد غير أصول الإسلام ونصوصه .

٢ - حين استنبطت مواد هذا الدستور أو أخذت أحكامه من المذاهب الإسلامية وآراء الصحابة اقتصر فيها على الأدلة الإجمالية الثابتة بالدليل القطعي والتي أجمع عليها جمهور الأئمة المجتهدين ، وهي الكتاب والسنة وإجماع الصحابة والقياس .

٣ - يتمتع هذا الدستور بالصياغة القانونية ذات القواعد العامة ، لذلك يمكن اعتباره مرجعاً فقهياً في موضوعه ، هذا علاوة على ما يتمتع به من دقة في تنزيل الأحكام على وقائعها .

هذا ونسأل الله تبارك وتعالى التوفيق والسداد
وأن يجعل عملنا هذا خالصاً لوجهه الكريم مباركاً فيه
يفضل منه ورحمة

المادة ٨ : اللغة العربية هي وحدها لغة الإسلام وهي وحدها اللغة التي تستعملها الدولة .

شرح المادة :

دليلها هو أن القرآن الكريم بالرغم من أنه مخاطب به جميع الناس ، قال تعالى (ولقد صرفنا للناس في هذا القرآن) وقال (ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن) فإن الله أنزله باللغة العربية ، وجعله قرآنا عربيا ، قال تعالى (قرآنا عربيا) وقال (بلسان عربي) ومن هنا كانت اللغة العربية وحدها هي لغة الإسلام لأنها وحدها لغة القرآن ، ولأن القرآن معجزة للرسول صلى الله عليه وسلم . وإعجازه إنما هو في تعبيره بهذا اللفظ العربي أي بعربية اللفظ والأسلوب ، وإنه وإن كان الإعجاز هو في اللفظ والمعنى معا لا ينفصل أحدهما عن الآخر فليس المراد من إعجازه في المعنى هو الإعجاز بما جاء به من معاني وموضوعات ، فإن السنة جاءت بهذه المعاني وتلك الموضوعات وهي ليست معجزة ، وإنما إعجازه في المعنى حالة كونه معبرا عنه بهذا اللفظ وبهذا الأسلوب . فالتعبير عن هذا المعنى بهذا اللفظ وهذا الأسلوب هو المعجز ، فيكون الإعجاز إنما هو باللفظ العربي المعبر عن المعنى بالأسلوب العربي . أي أن قوله تعالى : (وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء) معجزة للناس أن يأتوا بمثلها ، وإعجازها آت من روعة التعبير بهذه الألفاظ عن المعاني التي أداها هذا السبك بهذا الأسلوب . فكانت عربية اللفظ وعربية الأسلوب التي أدت هذه المعاني هي المعجزة . فالإعجاز في القرآن منحصر في عربيته ، إذ هي

الأصل في الإعجاز ، وهي محل التحدي أن يأتوا بمثله ، فهي جزء جوهري فيه غير قابل للانفصال عنه ، ولا يكون قرآنا إلا بها ، ولذلك " تجوز ترجمته لأنه إذا غُيِّر خرج من نظمه ، فلم يكن قرآنا ولا مثله وإنما يكون تفسيرا له ، ولو كان تفسيره مثله لما عجزوا عنه حين تحداهم بالإتيان بمثله . ثم إن قول الله { قرآنا عربيا } معناه أنه إن لم يكن عربيا لا يسمى قرآنا . ثم إننا متعبدون بلفظه ، فلا تصح الصلاة بغيره ، لأن الله تعالى يقول : { فاقرأوا ما تيسر من القرآن } ، وقال عليه السلام : { لا صلاة لمن لم يقرأ في كل ركعة بفاتحة الكتاب } ولذلك كانت اللغة العربية جزءا جوهريا من الإسلام . وأما قوله تعالى : { وأوحي إلي هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ } فإن المراد منه أنذركم بما في القرآن ، ويصدق على ذلك الإنذار بلفظه ، والإنذار بتفسيره فكله إنذار بالقرآن . بخلاف قوله { فاقرأوا } فإن قراءة التفسير والترجمة لا تكون قراءة للقرآن ، لأن معنى قرأ الكتاب أي قرأ ألفاظه ، ولا يمكن أن يكون معناه قرأ ترجمته أو تفسيره . فليس هو مثل أنذر بالكتاب فإنه يصح أن يكون أنذر بألفاظه ، وأنذر بما فيه . على أن الله قد جعل إنذار الرسول أيضا بالعربية فقال جل شأنه { نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين } مما يقطع بعدم جواز قراءة الفاتحة في الصلاة بغير العربية ، وبذلك يسقط ما احتج به بعضهم بآية { وأوحي إلي هذا القرآن } على جواز قراءة الفاتحة في الصلاة بغير العربية لمن لم يحسن العربية .

هذا من حيث كون اللغة العربية جزءا جوهريا في الإسلام ، أما من حيث كونها وحدها لغة الدولة فإن الدليل عليه أن الرسول صلى الله عليه وسلم كتب إلى قيصر وكسرى والمقوقس كتبا يدعوهم فيها إلى الإسلام ، وكانت كتبه هذه مكتوبة باللغة العربية مع إمكان ترجمتها للغاتهم ، فكونه عليه السلام لم يكتب لقيصر وكسرى والمقوقس كتبه لهم بلغاتهم مع أنهم غير عرب ومع أنه كتب يبلغهم الإسلام دليل على أن اللغة العربية وحدها هي لغة الدولة ، لأن الرسول فعل ذلك ، وكون الحاجة ماسة إلى الترجمة للتبليغ ولم يترجم قرينة على وجوب حصر مخاطبة الدولة للناس باللغة العربية سواء أكانوا عربا أم غير عرب ، ولهذا على جميع المسلمين من غير العرب أن يتعلموا اللغة العربية ، ولا يحل أن تكون لغة الدولة إلا اللغة العربية .

وقد بيّن الإمام الشافعي في رسالته الشهيرة في الأصول : إن الله تعالى فرض على جميع الأمم تعلم اللسان العربي بالتبع لمخاطبتهم بالقرآن والتعبد به . ولهذا كله كان فرضا أن تكون اللغة العربية وحدها هي لغة الدولة . غير أنه ينبغي أن يكون واضحا أن كون اللغة العربية وحدها لغة الدولة لا يمنع أن تستعمل الدولة غير اللغة العربية ، إذ يجوز أن تستعمل الدولة غير اللغة العربية في مخاطبة رسمية خشية التحريف ، أو لأخذ معلومات ضرورية أو من أجل تبليغ الدعوة في الخارج ، أو ما شاكل ذلك . إذ أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد استعمل اللغة العبرية والسريانية . فالحكم هو إفراد اللغة العربية باتخاذها لغة الدولة لا منع الدولة من استعمال غير اللغة العربية .

<u>والسؤال الذي يرد الآن هو هل يجوز أن تكون في البلاد التي تحكمها الدولة الإسلامية لغة غير اللغة العربية يتكلم بها ويكتب ؟</u>

والجواب على ذلك هو أن اللغات الأخرى غير العربية إما أن يكون التكلم بها والكتابة بها متعلقا بالدولة نفسها أو بعلاقات الرعية مها ، وإما أن يكون متعلقا بالرعية وحدها أو بعلاقات أفرادها بعضهم ببعض .

فإن كان متعلقا بالدولة نفسها أو بالعلاقات معها فإنه لايجوز أن تكون في هذا كله لغة غير لغة الدولة أي غير اللغة العربية . لأن عدم ترجمة الرسول لكتبه لغير العرب مع كون الحاجة ماسة إلى الترجمة للتبليغ دليل على وجوب إفراد اللغة العربية وحدها في أعمال الدولة وعلاقاتها أو في أي شيء يتعلق بها . وبناء على هذا لا يكون في برنامج الدولة التعليمي مكان لتعليم لغات غير اللغة العربية ، لا لغات الشعوب غير العربية التي تعيش في ظل الدولة الإسلامية ، ولا الشعوب التي تعيش خارج سلطان الدولة الإسلامية . وكذلك لا يسمح للمدارس الأهلية أن تجعل اللغة التعليمية فيها غير اللغة العربية ولا أن تجعل أي لغة غير اللغة العربية مادة من مواد الدراسة ، لأنها ملزمة ببرنامج الدولة . وهكذا كل مايتعلق بالدولة أو بعلاقاتها أو علاقات الرعية معها أو أي شيء يتعلق بها يجب أن تكون اللغة العربية وحدها لغة التكلم والكتابة .

وأما إن كان التكلم والكتابة بغير اللغة العربية متعلقا بالرعية وحدها أو بعلاقات الناس بعضهم مع بعض فذلك جائز ، لأن الرسول أباح ترجمة غير اللغة العربية إلى العربية وأباح تعلمها ، وهذا يدل على إباحة التكلم

والكتابة بها . وفي حديث زيد بن ثابت " أن النبي صلى الله عليه وسلم أمره فتعلم كتاب اليهود وقال " حتى كتبت للنبي صلى الله عليه وسلم كتبه وأقرأته كتبهم إذا كتبوا إليه " وقد أخرجه أبو يعلى بلفظ " إني أكتب إلى قوم فأخاف أن يزيدوا علي وينقصوا فتعلم السريانية " فإن هذا دليل على جواز التكلم والكتابة بغير اللغة العربية . وقد كان في عهد الصحابة أناس يتكلمون غير اللغة العربية ولم يجبروا على تعلمها وكان الحاكم يحضر من يترجم له . قال البخاري " قال عمر بن الخطاب : وعنده علي وعثمان وعبد الرحمن بن عوف " ماذا تقول هذه ؟ فقال عبد الرحمن بن حاطب : فقلت : تخبرك بالذي صنع بها . قال : وقال أبو جمرة " كنت أترجم بين ابن عباس وبين الناس " وقوله هنا ماذا تقول هذه يعني المرأة التي وجدت حبلى ، فكان عبد الرحمن يترجم له . وكون أبي جمرة كان يترجم لابن عباس كلام الناس يعني أنه كان هنالك أناس يتكلمون غير اللغة العربية وعليه فإن التكلم بغير اللغة العربية والكتابة بها مباحة بدليل الحديث وفعل الصحابة وبناء على ذلك تسمح الدولة بإصدار المؤلفات والصحف والمجلات بغير اللغة العربية ولا يحتاج إصدارها إلى إذن لأنه من المباحات ، ويسمح أن توضع برامج غير عربية في التلفزيون إذا كان لأحد أو لجماعة من الناس . وإنما يمنع في إذاعة الدولة وتلفزيونها لأن كل ما يتعلق بالدولة يجب أن يكون في اللغة العربية وحدها أما ما يتعلق بالناس مع بعضهم فمباح لهم أن يستعملوا غير اللغة العربية بكل شيء . اللهم إلا إذا كان هنالك فرد من أفراد هذا المباح يؤدي إلى ضرر فيمنع هذا الفرد فقط .

المادة ٩ : الاجتهاد فرض كفاية ، ولكل مسلم الحق بالاجتهاد إذا توفرت فيه شروطه .

شرح المادة :

وقد جعلت الشريعة الإسلامية الاجتهاد لاستنباط الأحكام الشرعية من خطاب الشارع - أي من النصوص الشرعية التي أوحى الله بها إلى الرسول صلى الله عليه وسلم - فرضا على المسلمين . وقد ثبت كون الاجتهاد فرضا بأحاديث متعددة قال عليه السلام " إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران وإذا حكم فأخطأ فله أجر " وقال صلى الله عليه وسلم " ورجل قضى للناس على جهل فهو في النار " ، فهو يفيد التأكيد على أن يكون القاضي عالما بما يقضي . وروي عن الرسول أنه قال لابن مسعود : " اقض بالكتاب والسنة إذا وجدتهما . فإذا لم تجد الحكم فيهما فاجتهد رأيك " وروي عنه عليه السلام أنه قال لمعاذ وأبي موسى الأشعري وقد أنفذهما إلى اليمن " بم تقضيان " فقالا " إن لم نجد الحكم في الكتاب والسنة قسنا الأمر بالأمر فما كان أقرب إلى الحق عملنا به " وهذا القياس منهما هو اجتهاد لاستنباط الحكم ، والنبي صلى الله عليه وسلم قد أقرهما عليه ، وروي عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال لمعاذ حين أرسله واليا إلى اليمن : " بم تحكم ؟ قال بكتاب الله ، قال فإن لم تجد ؟ قال بسنة رسول الله ، قال فإن لم تجد ؟ قال أجتهد رأيي ، فقال الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله لما يحبه الله ورسوله " وهذا صريح في إقرار الرسول لمعاذ على الاجتهاد . وأيضا فإن معرفة الأحكام متعلق ومرتبط بالاجتهاد ، بحيث لا يمكن إدراك الأحكام ومعرفتها دونه ، فصار الاجتهاد فرضا لأن القاعدة الشرعية : مالا يتم الواجب إلا به فهو واجب .

والأصل في استنباط الأحكام أن يكون للمجتهدين ، لأن معرفة حكم الله في المسألة لاتكون إلا بالاجتهاد ، ولذلك كان لا بد من الاجتهاد . وقد نص علماء أصول الفقه على أن الاجتهاد فرض كفاية على المسلمين ، ولا يجوز أن يخلو عصر من الأعصار من مجتهد ، وإذا اتفق الكل على ترك الاجتهاد أثموا ، وذلك لأن طريق معرفة الأحكام الشرعية إنما هو الاجتهاد ، فلو خلا العصر من مجتهد يمكن الاستناد إليه في معرفة الأحكام أفضى ذلك إلى تعطيل الشريعة وهو لا يجوز .

على أن نصوص الشريعة تستوجب من المسلمين الاجتهاد ، لأن هذه النصوص الشرعية - وهي الكتاب والسنة ليس غير - لم تأت مفصلة ، وإنما جاءت مجملة تنطبق على جميع وقائع بني الإنسان . ويحتاج فهمها واستنباط حكم الله فيها إلى بذل الجهد لأخذ الحكم الشرعي منها لكل حادثة . وهذا الاجتهاد ليس بالأمر

المستحيل ، ولا بالأمر البالغ الصعوبة ، إذ هو بذل الوسع في طلب الظن بشيء من الأحكام الشرعية . أي هو فهم النصوص الشرعية مع بذل أقصى الجهد في سبيل الوصول إلى هذا الفهم لمعرفة الحكم الشرعي . وهذا ممكن للجميع . وقد كان الاجتهاد عند المسلمين في العصور الأولى طبيعيا وبديهيا ، ولم تكن له أي شروط ، إلا أنه منذ فسد اللسان العربي ، وابتعد الناس عن التفرغ لفهم الدين ، صار لا بد للمجتهد من معرفة الأدلة السمعية التي تستنبط منها القواعد والأحكام ، ولا بد له كذلك من معرفة دلالة اللفظ المعتد بها في لسان العرب واستعمال البلغاء ، وما عدا هذين الشرطين لا يوجد أي شرط للاجتهاد . ولهذا كان الاجتهاد إلى جانب كونه فرض كفاية على المسلمين أمرا ممكنا بالنسبة لجميع المسلمين . وهذه كلها هي أدلة هذه المادة .

المادة ١٠ : جميع المسلمين يحملون مسؤولية الإسلام ، فلا رجال دين في الإسلام ، وعلى الدولة أن تمنع كل ما يشعر بوجودهم من المسلمين .

شرح المادة :

والمجتهدون وإن كانوا علماء ولكن لا ضرورة لأن يكون العالم مجتهدا ، إذ قد يكون العالم مجتهدا وقد يكون مقلدا ، والمسلم إذا أخذ الحكم الشرعي ليعمل به فإنه ينظر فيه ، فإن أخذه عن مجتهد يكون قد قلد ذلك المجتهد ، وإن أخذه عن غير مجتهد يكون قد تعلم ذلك الحكم ممن أخذه عنه ، ولا يكون قد قلده . أما إذا أخذ المسلم الحكم ليتعلمه فإنه يكون قد تعلم الحكم ، سواء أخذه عن مجتهد أو عن غير مجتهد .

فهؤلاء العلماء مجتهدين كانوا أم غير مجتهدين ليسوا رجال دين ، فلا يملك أحد منهم أن يحل شيئا أو يحرم شيئا وهم كباقي المسلمين في كل حكم من أحكام الشرع ، ولا يجوز أن يتميز أحدهم عن المسلمين بشيء من أحكام الشرع ، مهما بلغت منزلته في العلم والاجتهاد والاحترام ، فلا يكون الحرام على غيره مباحا له ولا الواجب على غيره مندوبا عليه بل هو كأي فرد من أفراد المسلمين ، ولهذا فإن فكرة رجال الدين الموجودة عند النصارى لا وجود لها في الإسلام . ومفهوم رجال الدين عند النصارى خاص ، لأن رجل الدين عندهم يحل ويحرم ، ونقل اللفظ إلى العالم المسلم يوحي بنقل المفهوم النصراني إلى علماء المسلمين ، مع أن علماء المسلمين لا يحلون ولا يحرمون ، ولهذا امتنع إطلاق لفظ رجل الدين على العالم المسلم . وقد وردت الأحاديث الصريحة في النهي عن تقليد اليهود والنصارى .

عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " لتتبعن سنن من كان قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب تبعتموهم ، قلنا : يارسول الله ، اليهود والنصارى ؟ قال : فمن " وقد ورد في مقام النهي . فتقليد النصارى واليهود من حيث هو منهي عنه ، فكيف إذا كان هذا التقليد يجر إلى إيجاد مفهوم كفر لدى المسلمين ؟ .

واعتبار العالم المسلم رجل دين هو تقليد للنصارى في إطلاقهم على علماء الدين عندهم بأنهم رجال دين . وهو أيضا ينقل المفهوم النصراني لرجل الدين إلى العالم المسلم لذلك كان داخلا تحت النهي من ناحية التقليد . وداخلا تحت النهي الأشد من ناحية نقل المفهوم . ولهذا لا يصح أن يقال عن العالم المسلم إنه رجل دين ، ولا يحل للعلماء أن يعتبروا أنفسهم رجال دين بمفهوم رجل الدين عند النصارى . وإذا وجد أحد يدّعي هذا بهذا المفهوم فإنه يمنع ويُعاقب . لأنه يكون قد ارتكب محرفم .

ولذلك وضعت هذه المادة .

وقائع سياسية

أجرى الرئيس مبارك لقاء مع مجلة ديرشبيجل الألمانية الصادرة في ٢٩/ ٥/ ٩٥ ، ومما جاء في حديثه :

المجلة : ما زالت إسرائيل يمكنها الاعتماد على أن أمريكا تقف بجانبها ، فلقد أعاقت واشنطن صدور قرار بإدانة عملية مصادرة أراضٍ في القدس ، فاستخدمت الفيتو في مجلس الأمن الذي يعتبر الأول منذ عام ١٩٩٠ . فكيف كان وقع ذلك عليكم ؟

مبارك : لقد أحزنني ذلك كثيرا . أمريكا وقفت وحدها في مجلس الأمن ضد ١٤ دولة . إنني لا أفهم كيف أن واشنطن تنحاز بهذا الشكل العجيب . لقد كان ذلك صدمة للعالم العربي كله .

المجلة : هل فقدت أمريكا بهذا الموقف مصداقيتها كوسيط نزيه في الشرق الأوسط ؟

مبارك : لقد وضعتنا في موقف حرج للغاية . .

المجلة : الجمهوريون يريدون نقل السفارة الأمريكية من تل أبيب إلى القدس .

مبارك : هذا هو تكتيك الانتخابات أيضا في أمريكا ، ولكن الرئيس كلينتون لا يريد ذلك . ولكني أحذر : إذا حدث ذلك فهو بمثابة عبوة ناسفة . إن العالم سيعايش حينئذ اشتعال نار التطرف من كل نوع . إنني أفضل ألا أرسم لكم الصورة أو الحالة التي أتوقعها .

المجلة : السيد الرئيس ، هناك نوع ما من الأخلاق المزدوجة لدى الأمريكيين أيضا في عملية نزع السلاح النووي . إسرائيل يسمح لها بترسانة نووية سرية ليست عليها أي رقابة ، في الوقت الذي ينبغي على العرب أن يوقعوا على معاهدة منع انتشار الأسلحة النووية بصفة أبدية !

مبارك : وفّروا علي الحديث في مثل هذا الموضوع المؤسف . • • •

قبيل انتهاء الدورة البرلمانية لمجلس الشعب المصري في ١٠ يونيو ١٩٩٥ أقبل المجلس على خطوة تكشف عن واقع النظام من حيث كونه فئة متسلطة أقرب إلى العصابات الإجرامية منها إلى سلطة حاكمة تقوم برعاية شؤون أمتها ، فتم سن قانون يتعلق بالصحافة في فترة زمنية قصيرة للغاية لم تتعد بضع ساعات ، حتى لا تكون هناك أي فرصة لبناء رأي ضد هذا القانون الهمجي .

يقضي القانون بعقوبة السجن بحد أدنى خمس سنوات مع غرامة مالية تتراوح بين ١٠ إلى ٢٠ ألف جنيه لكل من ينشر معلومات من شأنها الإضرار بالاقتصاد أو المصالح القومية ، وبالسجن من عامين إلى خمسة أعوام مع غرامة مالية تتراوح بين ١٠ إلى ١٥ ألف جنيه لكل من ينشر معلومات يراد بها تجريح أو إهانة الشخصيات العامة أو مؤسسات الدولة ، وبالسجن لمدة عام مع غرامة مالية تتراوح بين ٥ إلى ١٥ ألف جنيه لكل من ينشر أخبارا من شأنها توجيه إهانة أو تجريح للآخرين .

إضافة إلى ذلك تم إلغاء المادة ٦٧ من قانون العقوبات ، والتي كانت تنص على منع الحبس الاحتياطي للصحفيين .

ورغم أن الصحافة المصرية لم تخرج حقيقة عن الخط العام للنظام ، ورغم أن نقدها في غالبه ليس مبدئيا ، ولا يمس في العادة الشخصية المصونة لرئيس الدولة ، ولا أسس نظام الكفر القائم في البلاد ، إلا أن العصابة الحاكمة أقلقها كشف بعض الجرائم والفضائح التي ترتكب يوميا ، خشية من ثورة الشعب . • • •

تواجه الأمم المتحدة مع التحولات السياسية التي أعقبت انهيار المعسكر الشرقي صعوبات متعددة وفشلا ذريعا على كل المستويات ، فإضافة إلى فشل بعثاتها ومهماتها من أجل " السلام " كالصومال والبوسنة ، فإن منظماتها الأخرى تتعرض لحملات تشكك في جدواها ، فقد جاء في تقرير لجنة الإدارة العالمية Comission of global Governance الذي قدم للأمم المتحدة ، جاء فيه (إن التنمية الصناعية لم تعد الحل الوحيد للتنمية الاقتصادية في البلدان النامية) . ودعي التقرير لإغلاق منظمة اليونيدو [منظمة الأمم المتحدة للتنمية الصناعية] (لأن خدماتها لم تعد ذات أهمية لمتطلبات التنمية) . أما المفتش العام للأمم المتحدة باشكه فقد دعا إلى إلغاء مؤتمر الأمم المتحدة للتجارة والتنمية واليونيدو . هذا بالإضافة للوضع المالي السيء وتهديد أمريكا بخفض إسهامها المالي والبالغ ٣١ ٪ من ميزانية الأمم المتحدة .

ويبدو أن أمريكا تريد منع تحويل المنظمة إلى نادي للدول الكبرى تنظر فيه المسائل الدولية ، حيث يتجه تفكير بعض الدول إلى اتخاذ الأمم المتحدة وسيلة لإحياء دورها في السياسة الدولية ومشاركة أمريكا في رسم سياسة العالم ، وهو ما ترفضه أمريكا ، فهي تريد أن تنفرد بالقيادة وبدور الدولة الأولى في العالم .

وقد كانت مبررات اتخاذ الفيتو الأمريكي بشأن مصادرة الأراضي في القدس واضحاتيها هذا الاتجاه ، حيث قالت مادلين أولبرايت أن مجلس الأمن ليس محلا لبحث هذه القضية ، فهي لا تريد إشراك أحد في بحث هذه القضية الهامة ، فدور الأمم المتحدة الذي تريده أمريكا ثابتا هو أن تكون أداة بيدها ، وليست ناديا لمشاركتها في إدارة العالم . • • •

النقد في الإسلام

بقلم :
م . خالد عبد الرحمن

لم يسلم جانب من جوانب الحياة إلا وأصابه الخلل وحل فيه البوار بعد غياب حكم الله من على الأرض وزوال سلطان الإسلام من دارالمسلمين . وتفرد المباديء الوضعية بقيادة العالم . خاصة المبدأ الرأسمالي الذي استطاع أن يطبع العلاقات الدولية والتجارة العالمية بطابعه . ويحكمها بأحكامه وأنظمته . ومن أبرز ما أحدثه هو إيجاد نظام نقدي مكن الدول الرأسمالية الكبرى من امتصاص دماء الشعوب الأخرى وسلب ثرواتها .

وقد تعرضنا في العدد السابق لواقع الدولار الأمريكي والذي هو مثل حي لهذا الواقع . واليوم نعرض لنظام النقد في الإسلام . ذلك النظام الذي يحفظ للبشر حقوقهم وجهودهم . ولا يجعل ثرواتهم تنتقل لأيدي غيرهم إلا بحقها .

وندعو الله عز وجل أن يعجل بذلك اليوم الذي يعود الذهب والفضة فيه نقد دولتنا . كما أمر الله تعالى عباده وارتضى لهم .

عندما جاء الإسلام أقر الرسول صلى الله عليه وسلم تعامل العرب بالدنانير الهرقلية والدراهم الفارسية الفضية كما أقر عليه الصلاة والسلام الأوزان التي كانت توزن بها الدنانير والدراهم ، ففي إرواء الغليل للألباني ، عن أبي داوود والنسائي والبيهقي وغيرهم ، عن طاووس عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " المكيال مكيال أهل المدينة والوزن وزن أهل مكة " .

ومع أن الرسول صلى الله عليه وسلم أقر النقد الذي كانت عليه العرب وصرح بأن الوزن هو وزن أهل مكة ولكنه عليه الصلاة والسلام لم يفرض أيا من الذهب والفضة أو كليهما ليكونا أداة التداول الوحيدة بين الناس ولا المقياس الوحيد للمنفعة . بل ترك الناس أحرارا ليتبادلوا السلع كما شاءوا ويتقاضوا الأجور كما شاءوا فلم يلزمهم بالذهب والفضة دون غيرهما كوسيط للمبادلة بل للإنسان أن يبادل السلعة بالسلعة أو بالنقد أو بالجهد ، ولكنه بربطه الذهب والفضة بأحكام النقد يكون قد حدد للناس النقود التي يُتبادل بها وحدد مقدارها ، فيكون بذلك قد حدد المقياس النقدي الذي يُرجع إليه في تقدير قيم السلع والجهود .

أول ضرب للنقود في الإسلام :

وفي كتاب الأموال في دولة الخلافة يقول عبد القديم زلوم . . . [وقد بقي المسلمون يستعملون الدنانير الهرقلية والدراهم الكسروية على شكلها وضربها وصورها طيلة حياة الرسول صلى الله عليه وسلم وطيلة خلافة أبي بكر الصديق وأيام خلافة عمر الأولى وفي سنة عشرين من الهجرة وهي السنة الثامنة من خلافة عمر ، ضرب عمر دراهم جديدة على الطراز الساساني وأبقاها على شكلها وأوزانها الكسروية وأبقى فيها الصور والكتابة البهلوية وزاد عليها كتابة بعض الكلمات بالحروف العربية الكوفية (بسم الله) و (بسم الله ربي) واستمر المسلمون في استعمال الدنانير على الطراز البيزنطي والدراهم على الطراز الساساني مع كتابة بعض الكلمات الإسلامية بالحروف العربية إلى أيام عبد الملك بن مروان ، ففي سنة ٧٥ وقيل ٧٦ من الهجرة ، ضرب عبد الملك الدراهم وجعلها على طراز إسلامي خاص يحمل نصوصا إسلامية نقشت على الدراهم بالخط الكوفي بعد أن ترك الطراز الساساني . وفي سنة

٧٧ من الهجرة ضرب الدنانير على طراز إسلامي خاص ، ونقش عليها نصوصا إسلامية بالخط العربي الكوفي وترك الطراز البيزنطي الذي كانت الدنانير عليه . وبعد أن ضرب عبد الملك بن مروان الدراهم والدنانير على طراز إسلامي خاص صار للمسلمين نقدهم الخاص على طراز إسلامي معين وتخلوا عن نقد غيرهم] .

وزن الدينار والدرهم :

وحين ضرب عمر بن الخطاب رضي الله عنه الدرهم الشرعي أبقاه على ما تعارفت عليه العرب من وزن للدرهم وهو الوزن المتوسط للدراهم الساسانية وبزن ١٤ قيراطا (٢,٩٧٥ غم) وهو نفس وزن الدرهم الإسلامي الذي ضربه عبد الملك ابن مروان وكذلك الدينار الشرعي فوزنه مثقال من الذهب (٢٥ . ٤ غم) وهو نفس وزن الدينار البيزنطي (السوليدوس) الذي كان متداولا عند العرب ونفس وزن الدراخما .

أحكام شرعية متعلقة بالذهب والفضة :

علق الشارع أحكاما شرعية بالذهب والفضة ، وعند النظر في هذه الأحكام نجد أنها تشمل الذهب والفضة بصفتهما المعدنية ، أي كسلعة بها منفعه ، وبصفتهما النقدية أي من حيث كونهما مقياسا للسلع والخدمات ، ومن هذه الأحكام :

١- الكنز ، فقد حرم الإسلام كنز الذهب والفضة ، قال تعالى : [والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم] والكنز لا يظهر إلا في الأموال النقدية ، أما في غيرها من الأموال فيسمى الجامع لها محتكرا ، والكنز هو جمع النقد بعضه فوق بعضه لغير حاجة ، بخلاف الادخار ، فالادخار جمع المال لحاجة وهو جائز ، وإن لمس في الادخار حبس للنقد فإن هذا الحبس إنما هو لغرض تجميعه ليصل الحد الكافي للحاجة المجموع لأجلها ، كمن يدخر ليتزوج أو ليعلم ابنه أو ليبني بيتا أو ينشيء تجارة ، أما الكنز فهو الحبس المطلق للنقد عن التداول . فتحريم الشارع للكنز إنما يفيد النهي عن تجميع النقد وحبسه لغير حاجة ، فيفهم المراد أنه نهى عن كنز النقد ، كما أن كنز سبائك الذهب وتبره وكنز سبائك الفضة ونقارها حرام كذلك للعموم في الآية ، علاوة على أن عين الذهب والفضة وإن لم يكونا مضروبين كانا نقودا كذلك حين نزل حكم تحريم الكنز .

٢- الزكاة ، أوجب الشارع الزكاة وقدرها في الأموال النقدية بالذهب والفضة ، كما أوجبها في غيرهما من الأموال ، وبين نصاب الزكاة في الذهب والفضة وفي غيرهما من الأموال كذلك ، فجعل مقدار الزكاة في الذهب والفضة وعروض التجارة ربع العشر ، وجعل النصاب في الذهب عشرين دينارا وفي الفضة مائتي درهم .

٣- الدِّيَة ، عين الشارع مقدار الدية بالذهب والفضة وأموال أخرى " . . وفي النفس المؤمنة مائة من الإبل وعلى أهل الذهب ألف دينار " وجعلها في الفضة اثني عشر ألف درهم .

٤- أوجب الشارع القطع في السرقة ، وعين المقدار الذي يقع به حكم القطع ، فجعله في الذهب ربع دينار وفي الفضة ثلاث دراهم ، روى مسلم عن عائشة رضي الله عنها " لا تقطع يد السارق إلا في ربع دينار فصاعدا " وعن ابن عمر رضي الله عنهما " إن الرسول صلى الله عليه وسلم قطع سارقا في مِجَن ثمنه ثلاثة دراهم " .

٥- جاء الشارع بأحكام للصرف ، وجاءت هذه الأحكام بالذهب والفضة دون سواهما من الأموال " بيعوا الذهب والفضة كيف شئتم يدا بيد " والحديث المروي عن البراء بن عازب وزيد بن أرقم رضي الله عنهما يقول " وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بيع الذهب بالورق دينا " ، والصرف هو مبادلة نقد بنقد ، أي أنه معاملة نقدية لا غير .

الأساس النقدي في الإسلام :

بهذا يكون الإسلام قد عين الأساس النقدي وهو الذهب والفضة وقد أباح التبادل بغيرهما إلا أنه جعلهما وحدهما أساس النقد فكان إقراره إقرارا لهما حسب واقعهما آنذاك ولم يأمر باتخاذ غيرهما نقدا ولم يجعل غيرهما مقياسا نقديا تقاس به السلع والجهود . . ولكنه اعتبر الذهب والفضة هما وحدهما المقياس الأساسي لا غير . . ومع أن الشارع قد جعل أحكام الدية والزكاة مثلا بهما وبغيرهما من الأموال فأجاز دفع الدية بالإبل وغيرها من الماشية وأوجب الزكاة في الماشية وفي الزروع والثمار ، ولكنه في اعتباره للنقد وأحكام الصرف لم يتناول غير الذهب والفضة ولم يعتبر بذلك غيرهما من الأموال نقدا .

من كل ذلك يفهم أن الإسلام يجيز تبادل الجهود والسلع بما نشاء ويجيز اتخاذ الذهب والفضة وغيرهما من الأموال العينية والورقية وسيلة للتبادل . . ولكنه يشترط في النقد أن يكون الذهب

أو الفضة فقط المقياس النقدي أي هما الأساس الذي يرجع إليه في تقييم النقود .. وبعبارة أخرى إن النقد في الإسلام إما أن يكون قطعا معدنية من الذهب أو الفضة ، أو أوراقا نائبة عن مقدار معين من الذهب والفضة .

لا يجوز جعل الورق الإلزامي أساسا نقديا :

أما النقود الإلزامية المتداولة حاليا في شتى أقطار العالم فإن المقياس النقدي لها هو قوة وهيمنة الجهة المصدرة لهذه النقود ، وليس لها قيمة ذاتية في ماهيتها ، كما أنه ليس لها قيمة ثابتة بالنسبة للذهب أو الفضة فهذا الواقع هو خروج عن الأصل حسب أحكام الشرع وخروج عن الأصل أيضا حسب أساسيات الاقتصاد النقدي . وذلك أن اتخاذ نقد غير نائب عن كمية معينة ثابتة من الأموال العينية المقبولة عند الجميع قابل للاستبدال بها في أي وقت . وتعليق الصلاحية والقوة الشرائية لهذا النقد بيد دولة تسيره حسب مصالحها ما هو إلا وسيلة من أقوى وسائل بسيط نفوذ هذه الدولة على بقية شعوب العالم .

ولكنه مع ذلك لا يمكن إلا أن يُعتبر نقدا لأنه هو مقياس المنفعة الذي اصطلح الناس عليه واعتادوا على استعماله مقياسا ، فهو نقد وتنطبق عليه الأحكام الشرعية المتعلقة بالنقد ، إضافة إلى ماسبق ذكره من أحكام شرعية ، تُبين أن الشرع عند اعتباره للنقد ، إنما اعتبر الذهب والفضة دون سواهما مما يشير إلى أن نقد المسلمين يجب أن يكون الذهب والفضة أساسا نقديا له ، مُقيما بهما ومبنيا عليهما ، لا على أي أساس آخر فإن الله سبحانه وتعالى يقول (ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا) ومدلول هذه الآية أنه يحرم قطعا أن يكون لغير المسلمين دالة وسلطان على المسلمين ، وإذا جعل المسلمون لغيرهم سلطانا عليهم فهم آثمون ولا يرتفع عنهم الإثم حتى يقطعوا وسائل تسلط غيرهم عليهم .

ومن أشد وسائل التسلط وقعا على بني البشر أن يكون مقياس التبادل للسلع والمنافع بينهم ، أي نقدهم مرتبطا بنقد غيرهم ، مما يُمكّن هذا الغير من بسط نفوذه عليهم متى شاء ومن فرض إرادته عليهم متى أراد .

تحقق النقدية في الورق الإلزامي :

أما والحال كذلك ، حيث قطعت العلاقة النقدية بين الذهب والفضة وبين نقود الأوراق الإلزامية المتداولة في عصرنا الحاضر في جميع أقطار العالم كان لزاما على المسلمين - علاوة على العمل لإعادة ربط نقدهم بالذهب والفضة ربطا ثابتا ، وتقييم منتجاتهم وثرواتهم بها - أن يحددوا المقدار الشرعي لهذا النقد البديل بالرجوع إلى ما اعتبره الشارع نقدا ، وتقييم هذا النقد البديل به ، عند إخراج الزكاة ودفع الديات وغير ذلك من الأحكام المحددة مقاديرها بالنقد الشرعي ، فمن يملك مبلغا من المال مقداره ألف دولار مثلا ، وحال عليها الحول ، فهل على صاحبنا إخراج زكاة منها أم لا ؟

الصحيح أنه إن كانت هذه الألف لا تساوي قيمتها ما يعادل ٨٥ غراما من الذهب (وهو نصاب زكاة الذهب) أو ما يعادل ٥٩٥ غراما من الفضة (وهو نصاب زكاة الفضة) فلا تجب الزكاة فيها ، أما إن كانت قيمتها تعادل أو تزيد عن أي من النصابين فعليه إخراج الزكاة منها .

أما القول إنها ليست ذهبا ولا فضة فلا زكاة فيها فإنه قول غير صحيح . نعم هي ليست ذهبا ولا فضة في جنسها ، ولكنها تأخذ حكم الذهب والفضة من نقديتها ، فهي وسيلة تقييم السلع والمجهودات ، ومطلوبة من جميع الأفراد ، ومقبولة في إبراء الذمة حتى في شراء الذهب والفضة وما ذلك لذاتها ، بل لتمتعها بقابلية الاستبدال بأي مال عيني سواء أكان ذهبا وفضة أم غيرهما ، ومن كونها مخزنا للقيمة ، فالواقع أنها نقد ، واصطلاحا هي نقد كذلك وبها تقاس الثروة ، وما تمتعت بهذه الميزات كلها إلا لكونها نقدا بديلا عن النقد الذهبي والفضي وقيامها بدوره ، فلها مثل حكمه ، وإنما رُجع لما تساويه من ذهب وفضة للتأكد من استيفائها عند وجوبها . وبناء على ذلك فلا يجوز تبادل النقود الورقية إلا مثلا بمثل ويدا بيد عند اتحاد الجنس ويدا بيد عند اختلاف الجنس ، ولا يجوز كنزها وتجب فيها الزكاة ، ويقطع فيها السارق ما بلغت النصاب .

الإسلام و السلام

بقلم: حسام الدين القدسي

يعد مصطلح السلام من أكثر المصطلحات التي تتداولها ألسنة السياسيين في العالم، والتي تُتخذ أداة - وخاصة من قبل الدول الاستعمارية - لكسب الرأي العام محليا ودوليا، ولتبرير أعمال سياسية أو عسكرية معينة يقوم بها هؤلاء حين يتطلب الأمر ومثال ذلك ما يحدث في منطقة الشرق الأوسط، وكذلك تدخل أمريكا في الصومال وهاييتي، وتدخل الأمم المتحدة في البلقان، كل هذا باسم إحلال السلام.

من جهة أخرى نسمع كل يوم بعلماء من علماء المسلمين ينطلقون من موقف الدفاع عن الإسلام تجاه الغرب، فيعمدون إلى تزييف الحقائق ولي أعناق النصوص الشرعية كي يرضوا الغرب، فيقولون بأن الإسلام دين التسامح والسلام، ثم يشتطون في دفاعهم عن الإسلام فيقدمون التنازلات تلو الأخرى ابتداء بكون الإسلام دين التسامح والسلام والحرية.. وانتهاء بالقول إن الجهاد في الإسلام ماهو إلا حرب دفاعية لرد العدوان فقط، مرورا بتعطيل نصوص القرآن والسنة التي تحدد شكل العلاقة بين دولة الإسلام ودول الكفر، وإباحة مصالحة ومسالمة المعتدين (المغتصبين لديار الإسلام مثل إسرائيل.

لذلك نأتي بهذا البحث مبينين وجهة النظر الإسلامية في هذا الموضوع، وذلك يقتضي التعرض للنقاط التالية:

١. واقع الإسلام وكونه رسالة للبشرية.
٢. نظرة الإسلام إلى العالم وتقسيمه إلى دارين.
٣. واقع الجهاد، وهل هو حرب دفاعية أم هجومية.
٤. المحور الذي تدور حوله السياسة الخارجية للدولة الإسلامية.
٥. متى يتحقق السلام.

١. الإسلام رسالة عالمية:

بعث الله الرسل والأنبياء إلى الناس لإخراجهم من الظلمات إلى النور، فكان كل رسول أو نبي يبعث إلى قوم بعينهم فيدعوهم إلى توحيد العبودية لله تعالى وإفراده بالألوهية حتى جاء خاتم الأنبياء والمرسلين محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم فكانت رسالته عامة لكل بني البشر {وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا}، وقد احتوت بالإضافة إلى العقيدة أو وجهة النظر في الحياة نظاما ينظم شؤون البشر بصفتهم أناسا ليس غير، ويشمل ذلك تنظيم علاقة الإنسان مع ربه وتنظيم علاقة الإنسان مع نفسه وتنظيم علاقة الإنسان مع غيره.

فهو نظام حياة شامل كامل لاينقصه شيء ولا يفوته أمر. يقول تعالى {ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين} النحل ٨٩. وعلى أساس هذا الفهم ابتدأ الرسول صلى الله عليه وسلم دعوته في مكة المكرمة، وأخذ يتنقل بين القبائل حاملا عبء هذه الدعوة وإيصالها إلى الناس، ملاقيا في سبيلها أشد الأذى حتى قيض الله له المدينة المنورة فأقام فيها الدولة الإسلامية وبدأ بتطبيق الإسلام عمليا في الداخل وعمل على إيصال الدعوة الإسلامية إلى بقاع أخرى بطريقة حددها الشرع وهي الجهاد فكان هو الطريقة العملية التي تزيل الحواجز المادية التي وقفت في وجه الدعوة فأقبل الناس على الإسلام أفواجا، وفي فترة زمنية قياسية بلغ الإسلام ودولته مشارق الأرض ومغاربها.

٢. انقسام العالم إلى دارين :

في اللحظة التي أعلنت فيها الدولة الإسلامية في المدينة المنورة ، ومباشرة رسول الله صلى الله عليه وسلم أعماله بصفته رئيس الدولة انقسم العالم إلى دارين دار إسلام ودار كفر .

ورد في الكتاب الذي كتبه الرسول صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والأنصار : " هذا كتاب من محمد النبي بين المؤمنين المسلمين من قريش ويثرب ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم أنهم أمة واحدة من دون الناس " ، فالرسول صلى الله عليه وسلم وضع المسلمين جميعا في جهة ووصفهم أنهم أمة واحدة ، وجعل كل من يتبعهم ويلحق بهم ويجاهد معهم جزءا من هذه الأمة التي تعيش في ظل دار الإسلام ، ووضع غيرهم في جهة أخرى .

وعلى ذلك فمفهوم دار الإسلام ودار الكفر وجد منذ زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم وإن كانت التسمية وضعت بعد ذلك كما يذكر بعض الكتاب ، إلا أن هؤلاء أغفلوا الحديث الطويل الذي رواه سليمان بن بريدة وأخرجه مسلم وأحمد وأصحاب السنن والذي ورد فيه " كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أمر أميرا على جيش أو سرية أوصاه في خاصته بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيرا . . . ثم يقول : وإذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى ثلاث خصال فأيتهن ما أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم ، ادعهم إلى الإسلام فإن أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم ثم ادعهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين . . " ، فالرسول سمى دار الإسلام دار المهاجرين ، ميزها عن الدار الأخرى وهذا دليل اخر يرد على بعض المعاصرين الذين قالوا إن العالم دار واحدة وإن التقسيم لا أساس له في الشرع ، أو أنه من صنع فقهاء القرن الثامن الهجري من أجل ترتيب بعض الأحكام الشرعية في المعاملات ونحوها ، أو القول بأن : (الإسلام يلتقي والقانون الدولي في اعتبار الدنيا دارا واحدة وأن الحرب أمر عارض يقيم حالة عداء مؤقت بين البلدين فإذا انتهت الحرب زالت معها هذه الحالة) !

والخلاصة أن العالم انقسم إلى دارين :
دار إسلام تحكم بأحكام الإسلام وأمانها بأمان المسلمين فيها ، ودار حرب أو دار كفر وهي التي فقدت أحد أو كلي شرطي دار الإسلام .

وقد ذهب بعض الفقهاء إلى اعتبار دار ثالثة هي دار العهد والتي عرفت بأنها البلاد التي يستولي عليها المسلمون صلحا مع بقاء الأرضين لأهلها الكفار [الأحكام السلطانية] . والواقع أنها جزء من دار الإسلام مادام المسلمون قد استولوا عليها وصارت تحت سلطانهم ، أما إذا أريد بدار العهد الدول التي ترتبط مع الدولة الإسلامية بمعاهدات فإنها تكون دار كفر أو دار حرب .

٣. الجهاد . . دفاع أم هجوم

كما ذكرنا آنفا فإن الإسلام جاء للبشرية جمعاء ، ولذلك كان واجب المسلمين حمل هذه الرسالة إلى أمم الأرض وإيصالها لهم ، إلا أن الله تعالى حدد للمسلمين الطريقة التي توصل بها الدعوة الإسلامية إلى الأمم والشعوب الأخرى وهي الجهاد وأناط بالدولة الإسلامية هذه المهمة فكلفها بحمل الدعوة الإسلامية إلى الخارج بالجهاد والذي عرف بأنه بذل الوسع في القتال في سبيل الله مباشرة أو معاونة بمال أو رأي أو تكثير سواد أو غير ذلك [حاشية در المختار لابن عابدين] .

والجهاد فرض بنص القرآن الكريم ، فوظيفة الدولة تقتضي إزالة كل حاجز مادي يقف حائلا دون هذه الدعوة ، بقوة مادية قادرة على إزالته . وتتضح لنا هذه الوظيفة عند مراجعة آيات القتال التي نزلت بعد إقامة الدولة والتي أمرت المسلمين بمبادءة الكفار والمشركين بالقتال ، ومن ذلك قوله تعالى (وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة) وقوله (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله) وقوله (قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر) ، وكذلك ما رواه الشيخان عن عبد الله بن عمر قال : قال صلى الله عليه وسلم : " أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فإن فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله تعالى " . فهذه الآيات وغيرها وأحاديث نبوية كثيرة حضت على القتال بل وعلى المبادرة به أيضا ، هذا بالإضافة إلى فعل الرسول صلى الله عليه وسلم حيث كان يبعث الكتب إلى الملوك ورؤساء الدول والقبائل يدعوهم بها إلى إحدى ثلاث إما الإسلام أو الجزية أو السيف ، أيضا تصرفات الرسول صلى الله عليه وسلم عندما استقر الوضع في المدينة المنورة حيث بدأ يعد القوة والجيش لحمل الدعوة خارج المدينة ، وقام في أول الأمر بأعمال تعتبر حركات مقصودة ، فأرسل خلال أربعة أشهر ثلاث سرايا من المهاجرين يتحدى بها قريشا ، ثم ما تلا ذلك من غزوات ومعارك . أيضا

ما قام به الصحابة رضوان الله عليهم بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث بادؤوا فارس والروم بالقتال وهاجموهم في عقر دارهم .

أما ما استدل به القائلون بأن الجهاد حرب دفاعية فلا أساس له من الصحة فهم يستدلون بقول الله تعالى (وإن جنحوا للسلم فاجنح لها) وقوله تعالى (وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين) وقوله تعالى (أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير) . فهذه الآيات وغيرها من التي قيدت مشروعية قتال الكفار بكونهم معتدين لا تصلح أن تخصص عموم آيات سورة التوبة التي ذكرناها آنفا ولا أن تقيد مطلقها لأنها كلها نزلت قبل آيات التوبة ، والمتقدم لا يخصص المتأخر ولا يقيده ، إذ التخصيص بمثابة نسخ لجزء من العام والناسخ يشترط أن يكون متأخرا عن المنسوخ . وآيات التوبة من آخر ما نزل في الجهاد فلا يتأتى التخصيص وما قيل في التخصيص يقال في التقييد فلا بد من نص يخصص أو يقيد ويكون متأخرا عن النص المطلق أو العام أو مصاحبا له حتى يكون مخصصا أو مقيدا له أو حتى يحمل أحدهما على الآخر ، وعليه يسقط الاستدلال بهذه الآيات ، فيبقى العام على عمومه والمطلق على مطلقه لعدم وجود نص يقيد أو يخصص .

ولذلك فالجهاد هو قتال الأعداء مطلقا وبشكل عام سواء أكان حربا هجومية أو دفاعية أو وقائية أو غيرها .

أما آية (وإن جنحوا للسلم فاجنح لها) فموضوعها هو الصلح وليس الحرب ، ولا مكان لها في الاستدلال على أن الحرب دفاعية في الإسلام .

أيضا فإن المتأمل في الآيات القرآنية يجد أن سبب جهاد الكفار هو كفرهم ، يقول تعالى (قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون) ، فالأمر يدل على أن قتالهم هو لوصف الكفر ، أي قاتلوهم لأنهم لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر . . . أما دفع الجزية فهو سبب لوقف القتال وليس سببا للقتال .

٤ ـ حمل الدعوة هو المحور الذي تدور حوله سياسة الدولة الإسلامية الخارجية :

يتضح من كتب الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الملوك ، ومن تجهيزه جيش أسامة إلى تخوم الشام لغزو الروم ، وإصراره على ذهاب الجيش رغم مرضه الأخير الذي توفي فيه أن الدعوة إلى الإسلام هي أساس العلاقة بين الدولة الإسلامية وبين أي دولة في العالم . وقد ذكرنا في بداية البحث أن طريقة الإسلام في إيصال الدعوة الإسلامية إلى الآخرين هي الجهاد ، وهذه الطريقة مستوحاة من نصوص القرآن والسنة التي أمرت بالمبادأة بالقتال .

وهذا الأساس يقتضي تجهيز الجيوش والإعداد للقتال ، حتى إذا سنحت الفرصة لقتال من لم يستجيبوا لدعوة الإسلام بعد تبليغهم إياها على وجه يلفت النظر ، كانت هذه القوة معدة للجهاد .

وقد اعتبر بعض المعاصرين أن أصل العلاقة بين الدولة الإسلامية والدول الأخرى هي السلم وليس الحرب ، قائلين (أما الأمة غير الإسلامية التي لم تبدأ المسلمين بعدوان ولم تعترض لدعاة الإسلام فهذه لا يحل قتالها ولا قطع علاقتها السلمية) ، ويعتبرون أن العالم دار واحدة وليس دارين ما لم تنشأ الحرب ، فيقولون (دار الحرب هي الدار التي تبدلت علاقتها السلمية بدار الإسلام بسبب اعتداء أهلها على المسلمين أو على بلادهم أو على دعوتهم أو دعاتهم) ، أما الجهاد فيعتبره معظمهم حربا دفاعية لرد العدوان والمعتدين ليس غير ، وبعضهم أجاز القتال في حالة منع المسلمين من إيصال الإسلام إلى الناس بالطرق السلمية . وقد فصلنا ذلك في مسألة انقسام العالم إلى دارين ومسألة الجهاد .

واستدل هؤلاء على أن أصل العلاقة هو السلم وليس الحرب بالآيات التالية :

قوله تعالى : (وإن جنحوا للسلم فاجنح لها)

قيل إنها نسخت بآية السيف ، والصواب أنها لم تنسخ لأن كل حالة في الآيتين تختلف عن الأخرى فقوله تعالى (وإن جنحوا للسلم) تعني في حالة الصلح ، وقوله (قاتلوا الذين لا يؤمنون) في حالة الحرب والقتال . والآية تدل على جواز المسالمة وترك الحرب إذا مال الكفار إلى ذلك إما بالدخول في الإسلام أو بدفع الجزية أو بالموادعة حسب شروطها ، ولا تدل على أن الأساس هو السلم ، لأن قوله (وإن جنحوا للسلم) تدل على أن الحالة حالة حرب لأن الجنوح يعني الميل .

وقوله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين) والمقصود بالسلم هنا هو الإسلام ، وقد أخرج ابن جرير وابن حاتم عن ابن عباس قال : السلم : الإسلام ، والزلل ترك الإسلام [فتح القدير للشوكاني ج ١ ص ٢١١] . وكلمة الزلل وردت في الآية التي بعدها حيث يقول تعالى (فإن زللتم من بعد ما جاءتكم البينات

فاعلموا أن الله عزيز حكيم) ، مما يؤكد أن المقصود ليس الصلح وإنما الإسلام وهو خطاب للمسلمين ، وقيل أيضا يعني مؤمني أهل الكتاب

وقوله تعالى : (فإن اعتزلوكم فلم يقاتلوكم وألقوا إليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلا)
والمقصود بـ (ألقوا إليكم السلم) أي : استسلموا لكم وانقادوا [الطبري ٩/٣٢]

وقوله تعالى : (ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمنا تبتغون عرض الحياة)
ومعنى السلام هنا هو إما الاستسلام أو الإسلام أو إلقاء التحية ، وسبب النزول يذكره الشوكاني في فتح القدير ناقلا عن البخاري وغيره عن ابن عباس قال : لحق ناس من المسلمين رجلا معه غنيمة له فقال السلام عليكم فقتلوه وأخذوا غنيمته ، فنزلت (ياأيها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا . .) الآية .

فهذا هو مجموع ما استدل به القائلون بأن الأصل في العلاقة بين دار الإسلام ودار الكفر هو السلم ، ومن بحثها يتبين أنها كلها لاتنهض دليلا على قولهم ، والملاحظ على القائلين بهذا الرأي إما أنهم متأثرين بالحضارة الغربية عامة والقانون الدولي خاصة وإما أنهم لم يميزوا بين كون العلاقة هي حمل الدعوة والذي يقتضي الجهاد وبين عدم الإكراه على اعتناق الإسلام ويظهر ذلك من استدلال بعضهم بقوله تعالى (لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين . إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون)

والمقصود بالآية أن الله سبحانه لا ينهى من بر أهل العهد من الكفار الذين عاهدوا المؤمنين على ترك القتال وعلى أن لا يظاهروا الكفار عليهم ولا ينهى من معاملتهم بالعدل ، أما الذين عاونوا الذين قاتلوكم على ذلك وهم صناديد قريش فلا يجوز معهم ذلك [فتح القدير ج٥ ص ٢١٣] . فالآية تعد للمسلمين تصرفهم مع من يعاهدهم من الكفار ، ويقولون (وهذا بين في كثير من آي الكتاب - ومن ضمنها هذه الآية - وأصول الدين ما يعزز هذه الروح السلمية ويبعد أن يكون الإسلام أسس علاقات المسلمين بغيرهم على الحرب الدائمة وأن يكون فرض الجهاد وشرع القتال على أنه طريق الدعوة إلى الدين لأن الله نفى أن يكون إكراه على الدين ، وأنكر أن يكره الناس حتى يكونوا مؤمنين (أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين) . .)
فاختلط الأمر عليهم ولم يدركوا أنه لا علاقة بين عدم إكراه الناس على اعتناق العقيدة الإسلامية وبين الجهاد الذي شرع لتحطيم القوى المادية التي تحول بين الإسلام وبين الشعوب والأمم لتعيش تحت ظل حكم الإسلام العادل ؛ أما الأفراد فيتركون وما يعبدون ولا يتم إكراههم على دخول الإسلام .

وخلاصة الأمر أن هناك دار الإسلام ممثلة في الدولة الإسلامية . والتي كلفها الشرع بحمل الدعوة الإسلامية إلى العالم عن طريق الجهاد . ودار الكفر الممثلة في الدول الأخرى والتي إما أن تكون محاربة فعلا (مثل روسيا وصربيا حاليا) أو محاربة حكما أو بيننا وبينها معاهدات تعود إلى كونها محاربة حكما بمجرد انتهاء هذه المعاهدات . ودار الإسلام تلك تعمل على تحويل البلاد الواقعة في دار الكفر إلى أن تصبح جزءاً من دار الإسلام وذلك بإخضاعها لسلطان الإسلام بتطبيق نظام الإسلام عليها وجعل أمانها أيضا من أمان المسلمين مع ترك أهل البلاد وما يعبدون وما يعتقدون لا إكراه ولا إجبار .

وعملية التحويل هذه من دار كفر إلى دار إسلام هي الأساس الذي تسير عليه الدولة الإسلامية أثناء حملها الدعوة الإسلامية إلى الآخرين لأن حكم الله يجب أن يعم الأرض كلها ، فقد روى أحمد عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " بعثت بين يدي الساعة بالسيف حتى يعبد الله وحده لا شريك له ، وجعل رزقي تحت ظل رمحي ، وجعل الذل والصغار على من خالف أمري . وهذا الأمر في كل الأحوال لا يمكن أن يجعل أصل العلاقة بين دار الإسلام ودار الكفر هو السلام ، فالرسول صلى الله عليه وسلم يقول " أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها " والناس هنا اسم جنس محلى بأل فيشمل كل الناس ، وقوله " أقاتل الناس " لأنهم كفار ، وهذا يدل على أن العلاقة هي علاقة حمل دعوة عن طريق الجهاد .

والكيفية التي يتم بها تحويل بلاد الكفر إلى جزء من دار الإسلام قد بينها

الرسول صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه بريدة حيث يقول صلى الله عليه وسلم " .. ادعهم إلى الإسلام فإن أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم ، ثم ادعهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين وأخبرهم أنهم إن فعلوا ذلك فلهم ما للمهاجرين وعليهم ما على المهاجرين ، فإن أبوا أن يتحولوا منها فأخبرهم أنهم يكونوا كأعراب المسلمين يجري عليهم الذي يجري على المسلمين ولا يكون لهم في الفيء والغنيمة شيء إلا أن يجاهدوا مع المسلمين ، فإن أبوا فلهم الجزية ، فإن أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم ، وإن أبوا فاستعن بالله عليهم وقاتلهم " .

فهذا الحديث يبين أن التحول من دار الكفر إلى دار الإسلام لا بد منه ، وهذا يتم إما مع إسلامهم أي الكفار ، أو مع دفعهم الجزية ، أو بعد قتالهم . وفي النهاية لا بد من التحول أو التحويل وإخضاع البلاد لأحكام الإسلام .

وهذا الاستدلال بأن أصل العلاقة بين دار الإسلام ودار الكفر هي علاقة حمل الدعوة لا يعني بالضرورة إشعال نيران الحروب دوما وباستمرار مع دول العالم جميعها ، ولا يفهم منه أن الإسلام دموي يدعو إلى سفك الدماء وقتل الأرواح لأن الصراع الدموي يلجأ إليه فقط لإزالة الحواجز المادية بين الدعوة الإسلامية وبين الشعوب والأمم من أجل تطبيق الإسلام عليها لتجرب عدل هذا الدين الإلهي عمليا فتدخل في دين الله أفواجا بعد أن تعذر ذلك على الدولة الإسلامية بدون القتال . وقد لا تتمكن الدولة الإسلامية من خوض الحرب مع جهة أخرى معينة لعدم توفر الظرف المناسب لهذا الأمر أو لانشغال الدولة في ميدان آخر ، بل قد تضطر الدولة لإيقاف القتال لظرف من الظروف ، وهذا كله يتم تنظيمه عن طريق اتفاقات تعقدها الدولة مع غيرها مثل معاهدات حسن الجوار ومعاهدات الصداقة ومعاهدات الهدنة ومعاهدات اقتصادية وتجارية ومالية وثقافية حسب ما أباح الشرع ، وهذا مما جعله الشرع من صلاحيات خليفة المسلمين يختار ما يراه في صالح الدعوة الإسلامية التي هي الأساس في التعامل مع الدول الأخرى .

٥ • متى يتحقق السلام :

إن الأمة الإسلامية أمة مبدأ يحمل في طياته السعادة للبشرية والهناء والاستقرار ، وهذه الأمة مكلفة بإيصال هذا المبدأ إلى الناس ، فلا يعقل أن أمة عريقة كهذه تحمل عبء إسعاد البشرية وتحريرها من عبودية غير الله ، ومبدأ عظيم كهذا ينظم حياة البشر بالعدل ويجلب لهم الخير لا يعقل أن يكون في طبيعتها أو في طبيعته سفك الدماء ، إزهاق الأرواح ولا يعقل أن يكون الإسلام هو الذي يجر على البشرية ويلات الحروب .

إن السلام لا يتحقق إلا إذا تحقق العدل بين البشر وهذا العدل لن يتحقق في يوم من الأيام طالما ساد العالم أنظمة تخالف فطرة الإنسان ، ودول تنطلق من دوافع غريزية بحتة لا من فكرة كلية عن الكون والإنسان والحياة تظهر في صحيح سياستها .

والسلام العالمي ليس مشكلة العالم بل المشكلة هي في سيطرة الدول الاستعمارية عليه والتي تعمل على استغلال الشعوب وإشعال الحروب وإيجاد المشاكل الدولية لتركز سيطرتها على العالم فتخلف الشقاء والتعاسة للإنسانية .

إن السلام لن يتحقق على مستوى إقليمي أو دولي أو عالمي إلا إذا وجد كيان يتمثل في دولة تقوم على الإسلام وتعمل على اعتلاء مركز الصدارة والقيادة للعالم ، وتحمل رسالة الخير للبشرية جمعاء وتقودها إلى ما فيه خيرها .

فعلى الأمة الإسلامية وهي التي تحمل نور الهدى أن تفكر في إنقاذ العالم مع إنقاذ نفسها لتخرجه من الظلمات إلى النور ، ومن القهر والإذلال والاستعباد إلى العز والسعادة والسلام .

من مباحث التشريع

مفهوما التجديد والابتداع

يثار في الوقت الحاضر في العالم الإسلامي ما يسمى بمسألة التجديد في الفكر الإسلامي . ويطال هذا التجديد عند البعض إضافة إلى التصورات الإسلامية الفكرية والفقهية ككون العالم منقسم في الإسلام إلى دارين دار إسلام ودار كفر ، وككون اليهودية والنصرانية منذ بعثة محمد وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ديانات كفر . يطال بالإضافة إلى ذلك مباحث أصول الفقه . ويستند دعاة التجديد في دعوتهم إلى الحديث المروي عن الرسول صلى الله عليه وسلم " يبعث الله على رأس كل مئة سنة من يجدد لهذه الأمة أمر دينها " . وهذا الحديث لا يجوز أن يفهم أو يحتج به بعيدا عن النصوص الشرعية الأخرى المتعلقة بهذا الباب . مثل قوله صلى الله عليه وسلم " . . وإن كل محدثة بدعة . وكل بدعة ضلالة . وكل ضلالة في النار " وقوله صلى الله عليه وسلم " من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد " . فقد حصل عند المسلمين - وعلى وجه الخصوص في هذا العصر من جراء سيطرة مفاهيم الغرب - خلط بين مفهومين تناولهما الإسلام بالبحث . وهما مفهوم التجديد ومفهوم الابتداع . فالتجديد هو مما أقره الإسلام ودعا إليه . أما الابتداع فقد نهى الإسلام عنه واعتبره ضلالة . والفرق بين المفهومين يتضح بمراجعة الأحاديث التي في الباب . ونكتفي هنا بما أسلفناه من حديث التجديد وأحاديث الابتداع .

أسامة مطر

مفهوم الابتداع :

البدعة في اللغة هي الإتيان بشيء على غير مثال سابق ، قال تعالى " قل ماكنت بدعا من الرسل " أي لست أول رسول بل قد سبقني من قبل رسل كثيرون ، والبدعة في الشرع[1] هي الإتيان بشيء على غير مثال سابق في أمر من أمور الدين ، وهذه نوعان بدعة في الاعتقاد قد تصل بالمرء إلى الخروج عن ملة الإسلام ، كمباحث الصفات عند بعض أهل الكلام ، وكالقول بالوهية علي أو تناسخ الأرواح كما هو الأمر عند بعض الفرق الضالة وبدعة في الشريعة يأثم المرء إن قام بها وقد توصله إلى الكفر إن اعتقدها ، وذلك كالبدع التي في العبادات مثل شد الرحال إلى غير المساجد الثلاث ، أو إحياء أعياد الكفار بالذكر والتسبيح

والنوعان على ضربين : إثبات وإنكار ، فمن أثبت أمرا مما لم يثبته الإسلام فقد ابتدع ، وهذا المعنى هو الوارد في قوله عليه الصلاة والسلام " من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد " ، ومن أنكر ما أثبته الإسلام فقد ابتدع وهذا المعنى متضمن في قوله تعالى (أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض) وقوله (. . ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض) ، فإن الكتاب كاملا والرسول مما أثبته الإسلام فمن أنكره أو أنكر جزءا منه فقد ابتدع .

مفهوم التجديد :

أما التجديد فإن الإسلام لم يقصد به مطلقا الإتيان بجديد ، والرسول عليه

الصلاة والسلام قد استعمل اللفظ الدال بدقة عن المراد من أنه إحياء ما مات ، وبناء ما اندرس ، وإزالة ما زاد . فقد قال " يجدد " ولم يقل " يأت بجديد " ، وفرق بين اللفظين ، فالتجديد يعني أن الأمر كان من قبل جديدا ، ومع مرور الوقت طرأ عليه نقصان أو زيادة كذهاب اللون عن الأجسام وعلو الغبار والأوساخ عليها فإذا أردنا تجديد هذه الأجسام فليس معنى ذلك أن نأتي بشيء لم يكن قد وجد سابقا ، إذ هذه إضافة ، إنما يكون التجديد بإزالة الغبار والأوساخ مما زاد على الأجسام . والأمر في الإسلام هو من هذا القبيل فقد أوحى به إلى الرسول صلى الله عليه وسلم وكمل وبلغه الرسول بكماله كما جاء به الوحي ، قال تعالى (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا) وقال (يا أيها الرسول بلغ ما أُنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته) وقال (ولو تقول علينا بعض الأقاويل ، لأخذنا منه باليمين ، ثم لقطعنا منه الوتين) .

وكان إذ ذاك جديدا نقيا صافيا كما قال صلى الله عليه وسلم " تركتكم على المَحَجَّة البيضاء " وقال " والله لقد جاءتني بيضاء نقية " ومع طول الأمد ومرور الأيام طرأت البدع زيادة ونقصاناً فكان لابد من تنقيته أي الإسلام كل فترة من الزمن مما شابه من أدران عقدية وشرعية ، وإعادة ما أسقط منه وهذا هو التجديد الوارد في الحديث " يبعث الله على رأس كل مئة سنة من يجدد لهذه الأمة أمر دينها " .

هذا فيما يتعلق بمفهوم التجديد جملة أما التجديد في أصول الفقه فهي دعوة محدثة جدا ، وسنحاول وضع هذه الدعوة في كفة مفهوم التجديد الذي أقره الإسلام لنعرف رصيد هذه الدعوة من المصداقية .

لقد عرفنا في العدد السابق من المجلة بعلم الأصول وبينا حده ، وهو يدور على محاور أربعة :

١. الحكم ومتعلقاته ،
٢. أحوال المجتهد والمقلد ،
٣. دلالات النصوص ،
٤. مصادر التشريع .

فالمحاور الثلاثة الأولى لم تكن موضع بحث بالنسبة لدعاة التجديد ، إذ هذه المحاور يصعب التلاعب فيها والابتداع وهي باستثناء مبحث الحاكم لا تؤثر بشكل أساسي على الحكم الشرعي فالوجوب والحظر والإباحة ، وكون الناسي والمكره والصبي ممن لا يكلف ومباحث السبب والشرط والعلة ، وصيغ الأمر والنهي والعموم والخصوص ، ومفهوم الموافقة والمخالفة وصفات المجتهد ، وكيفية التقليد وما شابهها من مباحث مندرجة تحت هذه المحاور الثلاثة لا تؤثر مباشرة على كون الحكم شرعيا أم غير شرعي . وأما المحور الرابع فقد كان هو مجال دعاة التجديد إذ دعا هؤلاء إلى التوسع في مفهوم بعض مصادر التشريع من المتفق عليها والمختلف فيها .

إن المنطق الذي يسيطر على دعاة التجديد ، ونلمسه في كتاباتهم هو منطق تطويري توسيعي ، وليس منطقا تجديديا . يقول أحدهم [وفي يومنا هذا أصبحت الحاجة إلى المنهج الأصولي الذي ينبغي أن تؤسس عليه النهضة الإسلامية حاجة ملحة ، لكن تتعقد علينا المسألة بكون علم الأصول التقليدي الذي نتلمس فيه الهداية لم يعد مناسبا للوفاء بحاجاتنا المعاصرة حق الوفاء لأنه مطبوع بأثر الظروف التاريخية التي نشأ فيها ، بل بطبيعة القضايا الفقهية التي كان يتوجه إليها البحث] . وهذا الذي ذكر هو أبعد ما يكون عن مفهوم التجديد الذي بيناه لأنه لا يكتفي هنا بما كان عند المسلمين من أصول فقه بحجة عدم الكفاية ، ومقصده بأصول الفقه هنا مصادر التشريع لأنه يدعو بعد ذلك إلى التوسع في المصادر ، وفي مفهومها حتى يتسنى للمسلمين معالجة المشاكل المستجدة .

والصحيح أنه لا يتأتى التطوير ولا التوسيع في مصادر التشريع لأن التشريع مرجعه إلى الوحي . وعندما بحث المسلمون في هذه المصادر حين أوجدوا علم الأصول كانت غايتهم حصر الطرق المؤدية إلى معرفة الوحي . أو بعبارة أخرى كان مقصدهم معرفة ما هو الوحي ، حتى لا يأخذوا أحكامهم عن غير ما جاء به الوحي .

والوحي هو هو لم يتغير ولم يتبدل منذ توفي المصطفى صلى الله عليه وسلم ، وما عرفه منه علماؤنا السابقون هو ما نعرفه اليوم ، فكيف يمكن أن يدخله التطوير والتوسيع ، ثم إن المسلمين قد عاشوا حياتهم الإسلامية المنضبطة بأحكام الإسلام في كل مجالاتها وسدت حاجتهم ، دون هذا التوسيع والتطوير .

ولنضرب مثلا من كلام هؤلاء في الدعوة إلى التوسع في مفهوم القياس والإجماع :

١. القياس : يقول أحدهم [فالقياس كما أوردنا تعريفاته وضوابطه في أدبنا الأصولي لا بد فيه من نظر حتى نكيفه ونجعله من أدوات نهضتنا الفقهية ، وعبارة القياس واسعة جدا . . . وتشمل المعنى الفني الذي تواضع عليه الفقهاء من تعدية حكم أصل إلى فرع بجامع العلة المنضبطة إلى أخر ما يشترطون في الأصل والفرع ومناط الحكم . . . ، ومثل هذا القياس المحدود ربما يصلح استكمالا للأصول

التفسيرية في تبيين أحكام النكاح والآداب والمعاشر ، لكن المجالات الواسعة من الدين لا يكاد يجدي فيها إلا القياس الفطري الحر من تلك الشرائط المعقدة التي وضعها لها مناطقة الأغريق واقتبسها الفقهاء بالضبط في الأحكام الذي اقتضاه حرصهم على الاستقرار والأمن خشية الاضطراب والاختلاف في عهود كثرت فيها الفتن وانعدمت ضوابط التشريع الجماعي الذي ينظمه السلطان] ، ثم يتابع ليبين نوع هذا القياس الذي يدعو إليه ويريد أن يقيمه بدل القياس التقليدي المعقد ، فيقول [ولربما يجدينا أيضا أن نتسع في القياس على الجزئيات لتفسير طائفة من النصوص ونستنبط من جملتها مقصدا معينا من مقاصد الدين أو مصلحة معينة من مصالحه ، ثم نتوخى ذلك المقصد حيثما كان في الظروف والحادثات الجديدة ، وهذا فقه يقربنا من فقه عمر بن الخطاب رضي الله عنه لأنه فقه مصالح عامة واسعة لا يلتمس تكييف الواقعات الجزئية تفصيلا فيحكم على الواقعة قياسا على ما يشابهها من واقعة سالفة بل يركب مغزى اتجاهات سيرة الشريعة الأولى ويحاول في ضوء ذلك توجيه الحياة الحاضرة] .

هذا القياس الذي يتحدث عنه ليس له علاقة في الحقيقة بالقياس الاصطلاحي عند الأصوليين إلا الاسم ، إذ هو خرج بالقياس عن واقعه ومستواه ، فأصل القياس في الإسلام وعند الأصوليين هو وجود علل نصبها الشرع وجعلها سببا لتشريع الحكم المعين المنصوص عليه ليبين لنا أن الباعث على التشريع لم يكن الحكم بذاته وإنما وصف آخر دعا إلى إصدار هذا الحكم ، وهو المقصود فإذا وجد هذا الوصف أي العلة في واقع آخر غير المعالج في النص فإنه يتعدى حكم الواقع المعالج إلى الواقع المبحوث له عن علاج أي عن حكم ، وعلماء الأصول عندما بحثوا الضوابط التي أوردها صاحبنا ورفضها إنما وضعوها لمعرفة كيف تستفاد العلة من النصوص ، فالعلة يجب أن ترد في النص بوجه من الوجوه حتى تعتبر علة شرعية ، ويتأتى القياس عليها ، ولذلك فإن العلماء لم يخترعوا هذه الضوابط من عقولهم وإنما لاحظوا اللغة العربية والنصوص الشرعية فوضعوا الضوابط التي تبين الوصف الذي يحتوي التعليل والوصف الذي لا يحتويه حتى لا يتم القياس مع كل وصف ، تماما كما فعل النحويون حين درسوا اللغة واستفادوا منها علوم النحو ، وعليه فإن هذه الضوابط ضرورية وهي شرعية تستند إلى النصوص وإلى اللغة وصياغاتها ، ولا يجوز للمجتهد أن يتنازل عنها بحال من الأحوال بحجة أنها تعيقه في استنباطه الأحكام ، لأن المقصود هو استنباط أحكام الشرع لا أي أحكام ، والاجتهاد يقتضي بذل الجهد لا الراحة . ثم إن العلل التي وردت بها النصوص لم تكن علل عامة بل علل جزئية ، فكيف يجوز لنا طلب العلل العامة وهي لم ترد في النصوص ، فالرسول عليه الصلاة والسلام عندما يقول : " أينقص الرطب إذا يبس " فإنه إنما يبين العلة في هذه المسألة الجزئية ولا يتحدث هنا عن علل عامة غير منضبطة .

لذلك فإن هذه الدعوة هي في حقيقتها هدم للقياس وإتيان بقياس جديد لم يكن معروفا عند المسلمين من قبل مطلقا ، فأين هذا من التجديد .

٢ . الإجماع : يرى أصحاب الدعوة التجديدية في أصول الفقه أن الإجماع من مصادر التشريع التي اختلف في حدها المسلمون ، وإن اتفقوا فيها من حيث المبدأ ، وهم لا يقولون بأي رأي كان من الآراء السابقة عند المسلمين بل يريدون التوسع بمفهوم الإجماع ليشمل الاستفتاء الشعبي والرجوع إلى عموم الناس عند البحث عن مسألة شرعية من قبل الحاكم المسلم ، وهم يشبهونه بما عند الغربيين من تشريع يستند إلى الشعب . [والتقدم التقني اليوم يمكننا - لا كالسابق - من معرفة إرادة الناس بسرعة ويسر فكان لا بد من تطوير مفهوم الإجماع الذي اصطلح عليه المسلمون سابقا من أنه إجماع المجتهدين أو العلماء إلى إجماع الشعب] ، وهذا الرأي يعني فيما يعنيه جعل الشعب مصدرا من مصادر التشريع ، وهو ما لا يرضاه الإسلام لأن التشريع في الإسلام يستند إلى الوحي لا إلى الشعب ، فكان هذا النوع من التجديد هو زيادة على الإسلام وليس تنقية ولا تتميما كما هو الواجب في التجديد ، والعلماء السابقون الذين تحدثوا عن الإجماع قال قسم منهم بعدم تصور حصوله ، وقال آخرون بأنه لا يكون إلا في الأمور القطعية التي لا يختلف فيها المسلمون فيجمعون عليها ، وهذا الإجماع كما ترى لا يستند إلى الناس إنما يستند إلى أدلة من الكتاب والسنة قطعية . وإنه وإن كان الإجماع المعتبر كما يترجح من البحث الدقيق هو إجماع الصحابة لأنه يكشف عن دليل ، ولأنه هو الإجماع المتصور الوقوع بل الذي وقع بالفعل ، فإن إجماع الأمة كما هو عند البعض لا يجوز أن يعني بحال من الأحوال إرجاع الأمر إلى الشعب أو الأمة لتقرر ، فهذا يخالف مفاهيم الإسلام القطعية . ولو كان عملهم من قبيل التجديد لدرسوا مقالات العلماء في ذلك ولرجحوا الرأي الذي يستند إلى الدليل ، ولما جاءوا ببدعة جديدة تضاف إلى ما سلف .

لن أهاجر

شعر :
مقبل نصر غالب
صنعاء - اليمن

رد
على
دعوة المسؤولين
بالهجرة
لحل
الأزمة الاقتصادية

يا عدوَّ الشعب مهلاً لنْ اهاجرْ
لَوْ ملأتَ الأرضَ رُعْباً لنْ اسافرْ
لَوْ جعلتَ القوتَ اعقابَ السَّجائرْ
وشربتُ الدَّمعَ منْ نهر المخافرْ
ولبستُ الثوبَ مِن ورقِ المحاضرْ
ووجدتُ الفرشَ شوكاً وخناجرْ
لَنْ اهاجرْ .. لَن اغادرْ
لَوْ تَسَخَّرتَ المانَ والمنابرْ
واشتريتَ الصَّمْتَ منْ اهل الضمائرْ
مستحيلٌ تشتري منَّا المشاعرْ
قد سئمنا الوعدَ في إنجاب عاقرْ
كَمْ رصيد منْ وعود صرتَ تاجرْ
والولاداتُ التي كانت لثائرْ
قدْ شَرَوْها البخسَ في اعتابِ كافرْ
الفَ يوسُفَ باعَهُ النَّخاسَ « ياسر »
ولدينا مثْـلُ « ياسر » الف شاطرْ
لنْ اهاجرِ .. لنْ اغادرْ .. لنْ اسافرْ
لَنْ اهاجرِ تاركاً ارضي لتبنيها عمائرْ
تاركاً مالي لسمسار مُقامرْ
تاركاً زرعي لثُفنيه الكنادرْ
تاركاً عِرضي لسفَّاح وداعرْ
تاركاً ابني لدجَّال وفاجرْ
إمَّا ان نحيا جميعاً او تُغادر
قَبلَ أن ياتيكَ زِلزالٌ وعاصرْ
حينَها لنْ تنفعك كلُّ العساكرْ

في رحاب الآية

" الظلم ظلمات يوم القيامة "

إن العقود الماضية التي خضعت فيها الأمة الإسلامية لحكم الطواغيت من أرباب أفقدت جماهير الأمة الإسلامية خصيصة من أهم خصائصها . ألا وهي عدم التظالم فيما بينها . ورد أي ظلم يقع عليها مهما كلف ذلك من أرواح وأموال . واليوم والظلم يعم أرجاء بلاد المسلمين بمختلف أنواعه وأشكاله . ظلم الحاكم للأمة وظلم الناس لأنفسهم وظلم الناس بعضهم البعض . الشرك بالله متمثلا بصفة والظلم العظيم الذي هو ما أنزل الله . يجدر بنا أن نقف أولى في حاكم المسلمين لغير الإسلام التي عالجت القضية في برهة مع نزر يسير من نصوص بيان . لعله ينطبق علينا قول أرقى صورة وأدق عبارة وأبلغ تنفع المؤمنين) فنبادر بحجز الله تعالى (فذكر فإن الذكرى بقصر أنفسنا على الحق . وننزع عن أنفسنا عن التظالم . ونبادر نفوسنا لباس الخوف والعجز لنعمل جاهدين لرفع الظلم ليس عن أنفسنا ولا عن أمتنا فحسب . وإنما عن البشرية جمعاء التي باتت تكتوي ليل نهار بظلم الرأسمالية وعسف وجور التشريعات البشرية القاصرة .

يقول تعالى : { إنما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون في الأرض بغير الحق ، أولئك لهم عذاب أليم } الشورى ٤٢

أي : إنما العقوبة والمؤاخذة على المعتدين الذين يظلمون الناس بعدوانهم ، ويتكبرون في الأرض تجبرا وفسادا بالمعاصي والاعتداء على الناس في النفوس والأموال . أولئك الظالمون الباغون لهم عذاب مؤلم موجع بسبب ظلمهم وبغيهم .

وقال جل شأنه : { ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار ، مهطعين مقنعي رؤوسهم لا يرتد إليهم طرفهم وأفئدتهم هواء . وأنذر الناس يوم يأتيهم العذاب فيقول الذين ظلموا ربنا أخرنا إلى أجل قريب نجب دعوتك ونتبع الرسل أو لم تكونوا أقسمتم من قبل ما لكم من زوال ، وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم وتبين لكم كيف فعلنا بهم وضربنا لكم الأمثال } ابراهيم ٤١-٤٥

أي : لا تظن أن الله ساه عن أفعال الظلمة ، فإن سنة الله إمهال العصاة ثم يأخذهم أخذ عزيز مقتدر ، وهو إنما يؤخرهم ليوم رهيب عصيب تشخص فيه أبصارهم من الفزع والهلع ، فتظل مفتوحة مبهوتة لا تطرف ولا تتحرك مسرعين لا يلتفتون إلى شيء رافعين رؤوسهم مع إدامة النظر ، لا يطرفون بعيونهم من الخوف والفزع ، قلوبهم خالية من العقل لشدة الفزع .

ويأمر الله عز وجل النبي أن يخوف الكفار من هول يوم القيامة حين يأتيهم العذاب الشديد فيطلب الظالمون المهلة ولو إلى أجل قريب ليستدركوا ما فاتهم فيجيبوا دعوته لهم إلى الإيمان ويتبعوا الرسل فيما جاؤوا به .

أو لم تكونوا تحلفون - من قبل هذه الحالة - أنه لا زوال لكم عما أنتم فيه وأنه لا معاد ولا جزاء ، فذوقوا هذا بذلك ، وقد رأيتم وبلغكم ما أحللنا بالأمم المكذبة قبلكم ، ومع هذا لم يكن لكم فيهم معتبر ولم يكن فيما أوقعنا بهم لكم مزدجر .

وقال تعالى (وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون } الشعراء ٢٢٧

هذا وعيد عام في كل ظالم ، تتفتت له القلوب وتتصدع لهوله الأكباد .

أي : وسيعلم الظالمون المعادون لدعوة الله أي مرجع يرجعون إليه وأي مصير يصيرون إليه ، فإن مرجعهم إلى العقاب وهو شر مرجع ، ومصيرهم إلى النار وهو أقبح مصير .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " من غشنا فليس منا " .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " الظلم ظلمات يوم القيامة "

وعنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته " .

وعن عبد الله بن مغفل المزني رضي الله عنه قال : أشهد لسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " ما من إمام ولا وال بات ليلة سوداء غاشا لرعيته إلا حرم الله عليه الجنة " .

وعن معقل بن يسار رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " ما من عبد يسترعيه الله عز وجل رعية يموت يوم يموت وهو غاش رعيته إلا حرم عليه الجنة " وفي رواية " . فلم يحطها بنصح لم يرح رائحة الجنة " .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " ما من أمير عشرة إلا يؤتى به مغلولا يوم القيامة حتى يفكه العدل أو يوبقه الجور " .

وعنه رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " ويل للأمراء ، ويل للعرفاء ، ويل للأمناء ، ليتمنين أقوام يوم القيامة أن نواصيهم معلقة بالثريا يدلون بين السماء والأرض وأنهم لم يلوا عملا " .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " ليأتين على القاضي العدل يوم القيامة ساعة يتمنى أنه لم يقض بين اثنين في تمرة قط " .

ومن دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : " اللهم من ولي من أمر أمتي شيئا فشق عليهم فاشقق عليه ، ومن ولي من أمر أمتي شيئا فرفق بهم فارفق به " .

وقال صلى الله عليه وسلم " من ولاه الله شيئا من أمور المسلمين فاحتجب دون حاجتهم وخلتهم وفقرهم احتجب الله دون حاجته وخلته وفقره يوم القيامة " .

وقال صلى الله عليه وسلم " سيكون بعدي أمراء فمن دخل عليهم فصدقهم بكذبهم وأعانهم على ظلمهم فليس مني ولست منه وليس بوارد على الحوض ، ومن لم يدخل عليهم ولم يعنهم على ظلمهم ولم يصدقهم بكذبهم فهو مني وأنا منه وهو وارد على الحوض " .

وعن أبي ذر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يروي عن ربه عز وجل أنه قال : " ياعبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا " .

وعن أبي موسى رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم . " إن الله ليملي للظالم فإذا أخذه لم يفلته ، ثم قرأ (وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد) " .

وعن خولة بنت عامر الأنصارية رضي الله عنها قالت . سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " إن رجالا يتخوضون في مال الله بغير حق فلهم النار يوم القيامة " .

وعن معاذ رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له حين بعثه إلى اليمن : " واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب " .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال " من كانت عنده مظلمة لأخيه من عرضه أو من شيء فليتحلله منه اليوم قبل أن لا يكون دينار ولا درهم إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته ، وإن لم يكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه " .

قال الله تعالى (ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار ، وما لكم من دون الله من أولياء ثم لا تنصرون) هود ١١٣

والركون : السكون إلى الشيء والميل إليه بالمحبة .

قال ابن عباس رضي الله عنهما . لا تميلوا كل الميل في المحبة ولين الكلام والمودة ، وقال السدي وابن زيد . لا تداهنوا الظلمة ، وقال عكرمة : هو أن يطيعهم ويودهم ، وقال أبو العالية " لا ترضوا بأعمالهم ، فيصيبكم لفح النار .

قال ابن عباس : مالكم من مانع يمنعكم من عذاب الله .

وقال تعالى : (احشروا الذين ظلموا وأزواجهم) أي أشباههم وأتباعهم .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لا يقفن أحدكم موقفا يقتل فيه رجل مسلم ظلما ، فإن اللعنة تنزل على من حضره حين لم يدفعوا عنه "

وعن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " انصر أخاك ظالما أو مظلوما ، فقال رجل : يارسول الله أنصره إذا كان مظلوما ، أفرأيت إن كان ظالما كيف أنصره ؟ قال تحجزه أو تمنعه من الظلم فإن ذلك نصره " .

وهكذا تقلبت آيات القرآن الكريم وأحاديث المصطفى صلى الله عليه و سلم ، بل والأحاديث القدسية بين النهي عن التظالم ، وذم الظلم ، وتوعد الظالمين ، وتحذير من لا ينكر عليهم أو يسكن إليهم ولو شيئا يسيرا ، مع بيانها التفصيلي للأفعال التي تعتبر ظلما حتى تبين للناس ، ولتكون الهداية سابقة للعمل كي لا يكون للناس على الله حجة بأنهم جهلوا الظلم ووقعوا فيه نتيجة لجهلهم ، ولقد كانت آيات القرآن تقرع الآذان وتهز القلوب ، واللاحظ دائما أنها كانت تربط الآخرة بالنهي عن الظلم أو التحذير ، حتى كون وقعها في النفس دائما وقويا وموصولا بالله واليوم الآخر يوم تُجزى كل نفس بما كسبت

(وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقاً وعَدْلاً لامُبَدِّلَ لِكَلِماتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ)

أمريكا تريد أن تبدل دين الله (٣)

هذه هي أميركا التي تتصرف وكأنها السيدة المالكة لإرادة الدول الأخرى . وبما أن فكرها لا يقوم على الحق ، ولا يقنع العقل ، ولا يوافق الفطرة ، فإنها تحاول أن تفرضه بوسائلها الملتوية المعتمدة على السلاح المادي ، وسلاح الدعاية وسلاح شراء الذمم ، وسلاح التشهير والإشاعات الكاذبة . . وهي تخطط لفرض سيطرتها الفكرية والمادية على المنطقة ، فما هي خطتها في ذلك ؟

إن أميركا ، لما وجدت أن فكرها قد أفلس ، وأن المسلمين يشهدون عودة إلى دينهم ، أخذت تخطط لفرض ما تريده من خلال التعامل مع الأمر الواقع . فإذا كان الإسلام هو المطلوب ، والمسلمون يلتفون حول حركات إسلامية لتحقيق التغيير المنشود ، فإنه لا مانع عندها من الوصول إلى الحكم عن طريق المسلمين أنفسهم ، عن طريق حركات تطرح ما تسميه بالإسلام المعتدل ، أي أنه لا مانع عندها من الوصول إلى الحكم على مركبة تقودها حركات إسلامية .
من هنا نرى أن أميركا تعمل لاستغلال الإسلام عن طريق إيجاد حركات إسلامية ابتداء ، أو استيعابها تحت الضغوط فيما بعد .

أميركا تخطط لإيصال حركات إسلامية إلى الحكم دون الإسلام

إن أميركا تخطط لإيصال حركات إسلامية إلى الحكم دون الإسلام ، حركات تفرض عليها أن تسير في الحكم بحسب مفاهيمها ووجهة نظرها ولا يهمها بعد ذلك أن تضع من الشعارات ما تشاء ، ومن الادعاءات ما تريد . إنها تريد إيصال إسلام وطني أو إقليمي لا يتجاوز الحدود الحالية التي تفرق الأمة وتقسمها ، وتريد أن توجد لها المشاكل الداخلية المستعصية ، أو توجد لها مشاكل فيما بينها . إنها تريد أن يعطي المسلمون حينما يحكمون المثل السيء في حكمهم ، وما واقع أفغانستان وإيران عنا ببعيد ، إنها تريد من وراء كل ذلك أن يرتد المسلمون أنفسهم عن اعتبار أن الإسلام صالح للحكم . إنها تريد أن تفرض على المنطقة صياغتها الخاصة بعد أن يتحقق للمسلمين أن دينهم لا يعالج شؤون حياتهم . إنها بعبارة موجزة تريد أن تسقط الإسلام من النفوس لتفريغ المنطقة من أي طرح حتى يخلو لها الجو لتفرض بعد ذلك ما تريده ، وحتى تصوغ المنطقة صياغة جديدة يكتب لها العمر والاستمرار والاستقرار . . . هذا ما تخطط له أميركا .

إن المسلمين جميعهم مدعوون إلى مزيد من الوعي ، ومن الاهتمام بأمر دينهم . فالدين هو دين الله تعالى ، ولهم فيه سعادة الدارين ، والمسلمون يتشرفون به . وهو أغلى ما يملكونه ، وعليهم أن يحافظوا عليه بكليتهم ، وأن يكون حب الله ورسوله ودينه لا يتقدم عليه حب

النفس ولا حب مال ولا أي حظ من حظوظ الدنيا .

فأميركا التي أعلنت أنها تريد أن تحلل لنا وتحرم ، والتي تريد أن تفرض حلالها وحرامها علينا تنصب نفسها إلها ، وهذا الادعاء يجب أن يحث المسلمين على معاداتها ومحاربتها حتى يكسروا شوكتها . إنها عدوة للمسلمين أولا لأنها تعادي دين الله تعالى وتدعي الألوهية . كبرت كلمة تخرج من أفواه مسؤوليها إن يقولون إلا كذبا .

إن أميركا تعيش على مص دماء الدول الأخرى واستغلالها لثرواتها ، وما قامت به في الخليج ، وما تقوم به في العالم ليشهد على فساد فكرها وظلم ممارساتها ، فنجاح خطتها هو نجاح للظلم والباطل .

إن أكبر شاهد يشهد على انكشاف سوءة الحضارة الغربية هو ما أفرزته على أرض الواقع من ضياع فكري وانحطاط خلقي وتفكك اجتماعي في عقر دارهم وتأزم اقتصادي ، وهذا ما لم يعد خافيا على أحد ، فعلى الأمة جميعها بحكامها وعلمائها وحركاتها الإسلامية والمسلمين جميعا أن يعوا ذلك الواقع ويعملوا على عدم تمكين أميركا من تنفيذ مخططها .

أيها الحكام :

إننا نتوجه إلى الحكام لنقول لهم : أما آن لكم أن تخشع قلوبكم لما نزل من الحق ، أما آن لكم أن تعتبروا أنفسكم جزءا من الأمة تخافون عليها بدل أن تعادوها وتخافوا منها .

أيها الحكام : إذا كنتم تؤمنون بالديمقراطية الزائفة كما تدعون ، فإن شعوبكم ترفضكم وتبغضكم وتلعنكم لأنكم لم تجلبوا لها إلا الذل والعار والشنار ، ولأنكم عملتم على تمكين الدول الغربية الكافرة من رقابهم ، ولأنهم لم يروا منكم يوما واحدا أبيض . إننا حين نفكر بكم يتمثل في رؤوسنا قوله تعالى (وكذلك جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها ليمكروا فيها) ، ويحس الواحد منا عندما يفكر بأي واحد منكم بصدق حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنكم شرار الخلق ، وأن جثمانكم جثمان إنس وقلوبكم قلوب شياطين .

إلى هؤلاء الحكام أسوق القول إنه لم يبق أمامكم إلا فرصة قصيرة لتراجعوا حساباتكم وترجعوا إلى دينكم وإلى أمتكم لأن الأمور أوشكت أن تصل إلى درجة الفليان ، وستكونون ضحية أنفسكم وأيديكم .

إن العبرة ليست بما هو كائن الآن . فإن زعامتكم هشة وسرعان ما ستزول . وصورية وسرعان ما ستتكشف الحقيقة لتظهر أنكم لم تكونوا تسودون إلا بالقوة والتخويف . وهذا لم يدم لأحد غيركم فكيف يدوم لكم . ألم تنظروا إلى مصارع الطغاة قبلكم ، أو لم تفكروا أنكم ستصبحون لعنة تاريخ شعوبكم متى تغيرت هذه الأوضاع . ومن عجيب انخداعكم بأنفسكم أن الواحد منكم يفكر بابنه أو بأخيه لكي يستلم الحكم من بعده ، وكأنها كتبت لكم تدنسوها أبا عن جد ، وابنا عن أب . ألا تنظرون إلى حركة التاريخ التي تدور دورتها باتجاه تغيير جذري لا يبقي لكم أثرا .

إن الدول التي تستخدمكم قد تفكر هي بنفسها أن تغيركم متى تحققت أن الأمور تسير باتجاه عودة ثابتة للإسلام ، لأنكم لن تستطيعوا أن تحافظوا على مصالحها كما كنتم سابقا .

انظروا ألم يحدث سابقا أن تخلت الدول الاستعمارية عن رجالاتها لأسباب لا ذنب لهم فيها إلا أنهم لم يعودوا يستطيعون أن يلعبوا الدور المرسوم لهم كما يجب . إن من لا ينظر لا يعتبر . وككلمة أخيرة لكم عودوا إلى ربكم إلى دينكم إلى أمتكم ، فإن في ذلك قوتكم الحقيقية ، وإلا فإن الكأس المرة التي سقيتم الناس منها ستشربون منها وستتجرعون الغصص منهم والموت الزؤام ، وإنه ليحضرنا قول الشاعر في أمثالكم :

فارْحَلْ بِحمدِ اللّهِ جلَّ صنيعُهُ

مُسْتعفيا إنْ شئتَ أو معْزولا

أيا ورثة الأنبياء

وإننا لنتوجه إلى علماء المسلمين لنطلب منهم أن لا ينقضوا العهد الذي أخذه الله على العلماء بعهد آخر أخذه الحكام عليهم ، فإنكم بهذا تستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير ، أو الجحيم بالنعيم .

إننا نتوجه إليهم لنطلب منهم أن لا يقبلوا على أنفسهم أن يكونوا مطية تصل أميركا والغرب الكافر عبرها إلى مسك رقاب الأمة .

إننا نتوجه إليهم لنقول لهم إن الله قد جعل فتنتكم في علمكم ، وإن المطلوب منكم استحضار عظم الخالق وقدرته في كل كلمة تقولونها أو فتوى تصدرونها ، وأخلصوا النية فإن الناقد بصير . استحضروا عظم الخالق وقدرته أمام حقارة المخلوق ولو كان حاكما ، ولا تكونوا للظالمين نصيرا ولا للخائنين خصيما ، فتجعلوا لله عليكم سلطانا .

إننا نتوجه إليهم لنطلب منهم أن لا يجعلوا من صوتهم صدى لمنكر أصوات الحكام ، وأن لا يطيعوهم فإن في طاعتهم طاعة لأميركا والغرب ، وفي معصيتهم طاعة لله رب العالمين نطلب منهم أن لا يبيعوا دينهم بعَرَض من الدنيا ، ولا آخرتهم بدنيا غيرهم إننا نتوجه إلى العلماء لنطلب منهم أن يقارنوا بين ما يحصلونه من حطام الدنيا جراء مظاهرتهم للحكام ، وبين مايخسرونه من نعيم الآخرة ونقول ارجعوا إلى تاريخ أمتكم المليء بالبطولات القائمة على الإيمان وخذوا من علماء الحق مواقف القوة والجرأة والصراحة ، واستحضروا حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم " لموتة في طاعة الله خير من حياة في معصيته " وما يمنعكم أن تقولوا مثل قولة الصحابي " بخ بخ ، أما بيني وبين الجنة إلا أن أقول كلمة الحق ، والله إنها لموتة كريمة " فإنكم في مقام سيد الشهداء وفعلكم هو أفضل الجهاد . وإن ذلك يورثكم سيرة عطرة وخبرا رشيدا . فإننا مازلنا حتى الآن نردد مع الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه ما قاله في فتنة خلق القرآن " إذا أجاب العالم تقية والجاهل يجهل فمتى يتبين الحق " .

إننا نتوجه إلى العلماء لنقول لهم : إن صراع الأمة الإسلامية قد وصل مع عدوها إلى مفترق طريق : إما دين اللهوإما دين الملك ومن ورائه أميركا والغرب ، وبعبارة أخرى إما دين الله وإما دين أميركا والغرب . فلا تهينوا كرامة العلم وعزة العلماء فينطبق عليكم قول أحد الخلفاء مستخفا بأمثالكم " كلهم طالبو صيد إلاعمرو بن عبيد " . إن المفروض على العلماء أن يكونوا أئمة رحمة وهدى ، ويحضرني قول يحيى بن معاذ " العلماء أرحم بأمة محمد صلى الله عليه وسلم من أبائهم وأمهاتهم " قيل وكيف ذلك ؟ قال " لأن أبناءهم وأمهاتهم يحفظونهم من نار الدنيا وهم يحفظونهم من نار الآخرة "

نداء إلى الحركات الإسلامية

ثم إننا نتوجه إلى الحركات الإسلامية لنضيف إلى علمائها ومسؤوليها ماقلناه للعلماء ونزيد : إن الطريق وإن طالت وإن السبل وإن فسدت فليس لنا إلا الله يفرج همنا وينصرنا . ونحذر الحركات التي تواجه صعوبات شاقة في عملها من أن ينشأ عندها تساهل ، فتقبل أن تغير في طروحاتها وتحت مطارق الضرب والملاحقة والمحاصرة والإشاعات تقبل في منتصف الطريق أو آخره ما لم تكن تقبله في أوله .

كذلك نحذر الحركات التي تدعي أنها إسلامية ، وقامت من أول نشأتها تعُبّ من معين الغرب ، وتحاول أن توفق بين الحق والباطل بأحكام هي بدورها من الباطل لأن الحق واحد لا يتعدد ، وهو ما أنزله الله على رسوله ، نحذرهم ونقول لهم إنه ينطبق عليهم ما ذكره الله بحق المنافقين ، الذين يلبسون على الناس الباطل ويظهرونه بمظهر الحق . إننا نعلم أن الحركات الإسلامية بمسؤوليها وشبابها هي عصب العمل للتغيير ، وهي الدم المتدفق الذي يدلل على وجود الحيوية في الأمة ، لذلك يشغل واقعها أهمية كبرى ، ولذلك يتخذ علماؤها عبئا زائدا عن العلماء العاديين ، وشبابها عبئا زائدا عن الناس العاديين ، من هنا يجب على هذه الحركات بمسؤوليها وشبابها أن يكونوا أخشى لله وأتقى له .

والحركة الإسلامية إن أخلصت النية ، وتحرت الصواب وأحسنت العمل كان لها الأجر العميم ، وإن لم تفعل فإن وراء عملها هدما وليس بناء ، وتمكينا للكافر لا إلغاء له ، ويكون لها على ذلك الوزر الكبير .

والحركة الإسلامية لا تقاس بالعمر الزمني ، وإنما بحسن التقيد ودقة الالتزام وعدم الحيد عن التأسي المنضبط بطريق الرسول صلى الله عليه وسلم قيد شعرة ، وإن كان طول الطريق يكسبها إلى جانب التزامها خبرة العمل وتعلم

الصبر . وهو اي طول الطريق إنما هو مـــــن فتن الطريق .

وإننا لندعو الحركات الإسلامية إلى مراجعة هادئة ليس لطريقة العمل فحسب بل لطريقة التفكير ، ولطريقة تقييمها للواقع وفهمها للشرع وتعاملها مع الآخرين ، وإني لأسوقها نصيحة خالصة إنه لا يُعبد الله إلا كما يريد الله .

ففي حساب الحركة الإسلامية الصحيحة أنها :

- يجب أن يكون عملها قائما على الدليل الشرعي والاستمساك به مهما ظهر في الاستمساك به من صعوبة فإنه بالصبر والمصابرة والجهد والمجاهدة تذلل كل صعوبة ، وتمهد كل عقبة ، لأن من طبيعة الحكم الشرعي أنه يتحقق وإلا فإن الله يكلفنا ما لا نطيقه وهذا غير صحيح .

- يجب أن يكون عملها قائما على الدليل الشرعي بفهم منضبط والاستمساك به ، مهما أعطى لهذا الاستمساك من نعوت التطرف والأصولية والتشدد والإرهاب . فإن الإرجاف والإشاعة ورمي أصحاب الحق بمختلف النعوت ليست أساليب جديدة في مواجهة الحق ، فإن نبينا الكريم صلى الله عليه وسلم قد قيل فيه وأشيع عليه . إنها محاربة للإسلام عبر محاربتهم لما يسمونه الأصـــولية .

- يجب أن لاتختصر أو تقير الطريق الشرعية بتبريرات يدّعى أنها شرعية فإن في ذلك خروج عن جادة الحق . وفيه خيانة لله ولرسوله وللمؤمنـــين

إن الطريق شرعية محددة المعالم واضحة الخطوات . ولكنها صعبة وشاقة لا يقدر عليها إلا من نذر نفسه للدعوة الحقة . والجماعات الإسلامية إما أن تسلك سبيل ربها على بصيرة هي ومن اتبعها . وإما أن تتوقف إذا لم تقدر . أما أن تغير أحكام الطريق وتضيع المسلمين فإن الإثم والله أعلم سيصبح مضاعفا .

وإننا نتوجه إلى علماء الجماعات ومسؤوليها لنطلب منهم أن يتقوا ربهم ما استطاعوا ، أي أن يبذلوا كامل جهدهم في إخلاص النية وتحري الصواب وإحسان العمل . وإلى شبابها أن لا يغمضوا أعينهم عن أي فعل من أفعال المسلمين ، فإن كان حسنا أطاعوا وإن كان غير ذلك نصحوا ، فإن الجماعة بحاجة لأن تُنصح عندما تخطيء ، وشبابها هم أولى من يقوم بهذا ، ولو رجعنا إلى سيرة سلفنا الصالح العطرة وراجعنا ما فيها من مواقف لرأينا أن الصحابة لم يكونوا يسكتون على أمر لا يرونه شرعيا حتى ولو صدر من الخلفاء الراشدين المهديين المشهود لهم بالجنة . إن الجميع كما أن عليهم واجب النصيحة فإن عليهم واجب الانتصاح . قيل لعبد الله بن المبارك أحد كبار تابعي التابعين بعد أن نصح أحدهم " بقي من ينصح " فأجـــاب " وهل بقي من ينتصح " .

وانطلاقا من هذا فإنه عند ورود أي خبر يتعلق بموقف أية جماعة أو تصريح لأي عالم يجب أن لا يمر بسهولة ، بل يجب أن يُتوقف عليه ويُناقش صاحبه ، وأن ينبري أتباع هذه الجماعة أو هذا العالم قبل غيرهم لمساءلته ومحاسبته محاسبة شرعية قائمة على طلب رضى الله سبحانه فليس من الشرع أن يسكت عنه أو أن يدافع عنه على غير علم . بناء على محبته وظن الخير به فإن اتباع الحق أحق ، ونصيحته ليست إلا من باب حب الحق والقيام به .

مثلا : توجه الترابي في ٩٢/٥/٤ إلى الولايات المتحدة الأميركية ، ونقلت الحياة في ٩٢/٥/٥ من مرافقيه أنه سيُدلي بشهادة أمام اللجنة الفرعية لشؤون أفريقيا التابعة للكونغرس الأميركي عن الحركات الإسلامية في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا . فمثل هذا الخبر لا يجوز أن يمر هكذا من غير مساءلة ولا محاسبة .

وكمثل آخر : نشرت جريدة الحياة في ٩١/٧/٣٠ أن واشنطن عبرت عن تأييدها إجازة العمل القانوني لحزب النهضة التونسي . ولمّا سألت مجلة الشراع في العدد ٦٥١ الصادر في ٢٤/ ١٠/ ٩٤ الغنوشي مسؤول حزب النهضة التونسي : يقال إنكم تفتحون خطوطا مع الأميركيين . ما رأيكم في هذا ؟ لم ينكر تهمة السؤال ، ولكنه أجاب : نحن من أنصار الحوار في داخل أمتنا وخارجها . نحن نطالب ونسعى إلى الحوار بين الإسلام والغرب ، لأن العالم أصبح قرية صغيرة لا مجال فيها لاستمرار التنافي ، واستمراره لن يفضي إلا إلى هلاك العالم كله .

فإذا تساهل المسلمون في المحاسبة والمساءلة فإن ذلك سيؤدي إلى التفريط بالدعوة ، وإذا انبرى الأتباع يدافعون عنه في كل ما يقوم به العالم أو الجماعة من غير مراجعة فإن ذلك ليس من الدين في شيء .

وإن بقي لنا من كلمة نوجهها للعلماء وللحركات الإسلامية هي أن يكونوا متنبهين لما تحيكه أميركا والغرب ، وتنفذه الأنظمة التابعة لها ، أو يفكروا أن يمدوا أيديهم للتعامل المباشر ظنا منهم أنهم يختصرون الطريق ويفيدون الدين فإن في ذلك الهلاك ونسأل الله أن يحفظ المسلمين والعمل الإسلامي من هكذا تفكير .

نداء إلى المسلمين :

وأخيرا نتوجه إلى المسلمين ليستفيقوا من سباتهم ، لقد ملهم القعود والنوم إن لم يكونوا قد ملوه . نتوجه إليهم ليتخلصوا من أي ولاء إلا الولاء لله ورسوله والمؤمنين . وليخلصوا من أن يجعلوا من أنفسهم مكان تجارب للدول الكافرة وخديعة الحكام ، وأن يخلعوا السطحية من حياتهم وأن ينفذوا بنظرهم إلى الحق .

نتوجه إليهم لنقول لهم إن الدول الكافرة تعلن وعلى رأسها أميركا أنها تحترم الإسلام ، ولكنها في الحقيقة تحاربه ، وكذلك الحكام يعتمدون على ما يظنونه أنه سطحية فيكم ليطلعوا عليكم بين الفينة والأخرى على شاشات التلفزيون وفي المناسبات الدينية في المساجد يقيمون شعائر هذه المناسبات بتواضع ، وكذلك يتسمّون بألقاب إسلامية وهم أبعد الخلق عنها طلبا لرضاكم ، فيدعي هذا أنه الرئيس المؤمن وذاك أنه ابن السلالة ، وذلك أنه أمير المؤمنين ، والآخر أنه خادم الحرمين الشريفين ، وكلهم يدعون أنهم الحريصون على مصالح الأمة ولكننا نراهم يسيرون في التيار المعاكس لمصالح الأمة ويرتمون في أحضان الغرب ويحتمون به .

إن الأمة اليوم تحتاج إلى أن تحزم أمرها وتعقد عزمها على إعادة دورها الذي يريد لها الله أن تقوم به ، ولا يكون ذلك إلا

- بالتطلع إلى السماء من جديد والانعتاق من أسر التثاقل إلى الأرض .
- باستمداد العون من الله وحده وترك استمداده من الآخرين .
- بحصر همها بالجنة والشوق إلى نعيمها وعدم حصره في متاع الدنيا .
- بأن يكون الخوف من الله وعذابه غالبا على الخوف من بطش الحكام ومحاربتهم لهم فالله سبحانه أحق بالخشية .
- بأن تجعل غايتها إرضاء الله لا تحقيق الرغبات المادية .
- بأن تتناول عبادتها طاعة لله في جميع أوامره ، لا حصرها في العبادات ، فلا تنصرف إلى الدنيا بنظرة تقوم على استمداد تصورها من غير الإسلام بل بما يخالف الإسلام .
- بأن تتحلى بإخلاص خالص لله ولدينه وأن يرتفع ولاءها له على كل ولاء .
- بأن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما .
- بأن تسوس أمرها عن طريق خلافة راشدة ، أمر الله المسلمين بإيجادها .

فالله سبحانه يريد من الأمة الإسلامية أن تكون خير أمة أخرجت للناس تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتؤمن بالله ، أن تكون أمة وسطا تشهد على الناس بما عندها من حق تعتقد به وتحمله رسالة إلى العالم لتخرج الناس به من الظلمات إلى النور ، أن تخرج الناس من جشع المادة وقلق المادية إلى راحة التقوى وطمأنينة الإيمان ، أن تبيع الأنفس والأموال صادقة في سبيل الله ، أن تدوي بـ " الله أكبر " وتقرع بها الأسماع وتجلجل بها القلوب .

بقلم : أحمد المحمود

كتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى أمراء الأجناد :
تفقهوا في الدين فإنه لا يعذر أحد باتباع باطل
وهو يرى أنه حق ،
ولا بترك حق
وهو يرى أنه باطل .

وفي الختام | بماذا يحتفل حلفاء الحرب العالمية الثانية ؟

عمت عواصم دول الحلفاء احتفالات كبيرة بذكرى انتصارهم على ألمانيا ودخولهم برلين في الثامن من مايو سنة ١٩٤٥ م ، ذلك التاريخ الذي يعتبر نهاية للحرب التي أوقعت بين صفوف العسكريين أكثر من ٢٧ مليون قتيل، ومن المدنيين ٢٣ مليونا أما الجرحى فقد زاد عددهم عن الـ ٩٠ مليونا ، ولم تدمر هذه الحرب اقتصاد الدول المشاركة فيها فحسب ، بل اقتصاد العالم وخاصة بلاد المسلمين التي استنزفت بريطانيا كل مواردها ، بل وسخرت الملايين في الهند والبلاد العربية لنصرتها ، وحتى القتال معها ، وهي حرب لم تعدُ كونها صراعا على السيطرة والنفوذ وتوازن القوى ونهب الثروات ، كما هي الحال مع الحروب التي قامت وتقوم بها الدول الغربية .

وقد تبارى الحكام والسياسيون والمفكرون وأهل الصحافة في الحديث عن السلام وحقوق الإنسان ، وكيف أن تضحياتهم في الحرب أثمرت الاستقرار والسلام والأمن والقضاء على العنصرية وتحقيق الرفاهية لشعوب أوروبا والعالم .

إن الناظر في أقوالهم لا بد له أن يتصور أنهم قد أتوا من عالم آخر ، أو أنهم يعيشون على كوكب آخر ، هذا إذا لم يكن المرء يدرك مدلول كلمات "العالم" و "السلام العالمي" و "حقوق الإنسان" في قاموس الغربيين ، فهم يعنون بالعالم الدول الرأسمالية الكبرى ، والسلام العالمي هو سلام شعوبهم واستمرار سيطرتها على بقية شعوب الأرض دون مقاومة من هؤلاء ، أما حقوق الإنسان فهي حقوق أجناس بعينها كالجنس الأنجلوسكسوني أو الجنس الآري .

على ضوء هذه المعاني يمكن أن يفهم المرء تصرفات تلك الدول وهؤلاء الحكام ، ولذلك فهم عندما يتعلق الأمر بغيرهم تعمى أبصارهم وبصائرهم وتخرس ألسنتهم وتصم آذانهم ، فها هي حرب الإبادة يمارسها الروس ضد أبناء الأمة الإسلامية في الشيشان ، فيقومون ليل نهار بإهلاك الحرث والنسل وحرق الأخضر واليابس وسفك دماء المستضعفين من الأطفال والشيوخ والنساء ، وفي قلب أوروبا تقع مذابح "التطهير" العرقي في البوسنة والهرسك تحت سمعهم وبصرهم بل بتواطيء مع الصرب على مدى أكثر من ثلاثة أعوام . وفرنسا التي قتلت يوم ٨ مايو سنة ١٩٤٥ م أكثر من ٤٥ ألف مسلم في الجزائر ، تقف اليوم وبعد خمسين عاما مرة أخرى خلف المذابح التي يقوم بها عملاؤها في الجزائر .

والحروب التي قاربت المائتين منذ عام ١٩٤٥ ، وراح ضحيتها عشرات الملايين في بقاع الأرض ، والتي وقف خلفها الجشع الرأسمالي والغباء الشيوعي أصبحت لديهم في طي النسيان ، فأين هو السلام ؟

أما العنصرية التي حاربوها آنذاك ، وكانت محدودة في ألمانيا ، فهي اليوم تسود أرجاء أوروبا وأمريكا وروسيا ، وهي موجهة لكل من خالفهم في الدين أو اللون أو اللغة أو حتى العادات والتقاليد فعدم الإحساس بالأمن والأمان ، والجشع والأنانية التي ولدها المبدأ الرأسمالي لدى شعوب أوروبا وأمريكا ، إضافة إلى الميراث الكنسي المتخلف ، كل هذا أوجد أرضية خصبة للعنصرية بكل أشكالها في جميع بلاد الحلفاء ، ويكفي أن نرى زعيم الحزب العنصري في فرنسا يحصل على ١٥ ٪ من أصوات الناخبين في الانتخابات الأخيرة ، ونرى في أمريكا الجماعات العنصرية تمارس الإرهاب في أبشع صوره ، وحادثة أوكلاهوما وما جرى بعدها من اعتداءات على المسلمين ، تكفي لتوضيح عمق الأزمة التي تعيشها تلك المجتمعات .

أما هيئة الأمم المتحدة التي أنشئت عقب الحرب العالمية الثانية (للحفاظ على السلام والأمن) !! فهي ناد لهم لاقتسام النفوذ وإبقاء السيطرة على العالم وإضفاء الشرعية الدولية على ذلك ، ويكفي موقفها من البوسنة والهرسك دليلا على تواطئ جنودها وأمينها ومبعوثيها مع الصرب ، وخدمتهم لهم ، ويأبى الصرب إلا أن يجعلوها موضع السخرية والازدراء من العالم .

فبماذا يحتفل الحلفاء إذن ؟!

. . بالحروب التي يمارسونها ويوقدون نارها في أرجاء المعمورة ؟!

. . أم بتنامي التيار العنصري في بلادهم ؟!

. . أم بالهيئة التي سخروها للمساعدة على قتل الأطفال واغتصاب النساء ، ولاستصدار قرارات منع الشعوب من ممارسة حقها الطبيعي في الدفاع عن النفس ؟!

الإسلام كعدو

ضحايا البوسنة والهرسك

استقر رأي السسياسيين وصناع القرار في الغرب على استبدال صورة العدو - التي تمثلت سابقا في الشيوعية - بالإسلام ، واقتضى ذلك القيام بالعديد من الأعمال السياسية والإعلامية التي تهييء شعوبهم وجيوشهم لتقبل ذلك ، فتزايد رصدهم للإسلام والمسلمين في الغرب ، وعكفوا على تصويرهم باعتبارهم تهديدا لوجودهم ولحضارتهم :

يقول ويليام كلاس [الإسلام الأصولي هو التهديد الجيوسياسي المستقبلي] .
ويقول جان كلاود شيزانيه ، وهو أحد الديموجرافيين الفرنسيين [إن أوروبا تتحول تدريجيا إلى جبهة للإسلام] ، كما يقول [لم تعد أوروبا تقف قبال الإسلام ، إذ أصبح الإسلام داخلها ، وأصبحت داخل الإسلام] .

المسلمون في باريس

مظاهرة الفتيات المحجبات في فرنسا

وفي لندن

أما محررو النيوزويك فيلخصون رؤيتهم للقضية بقولهم [هناك ثقافتان بينهما عداء يتجاوز الألف عام يعيشان اليوم في نفس البقعة من الأرض ، وفي حال عدم التوصل إلى حلول لدمجهما معا ، وبناء مستقبل موحد من ماض عدائي ، فإن أوروبا ستواجه اضطرابات لا نهاية لها] .